مغامرات توم سوير

المغامرات المثيرة

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٩٦٦٨ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : . - ٠٠٦٨ - ١٦ - ٩٧٧ ISBN

طبع في دار نوبار للطباعة

مغامرات توم سوير

المغامرات المثيرة

تأليف : مارك توين

أعدها بالعربية : ميشيل تكلا

رسوم : محمد قطب

مكتبة لبنان

الفَصْلُ الأَوَّل

متاعب مستمرة

« توم !»

لا جَوابَ .

« توم !»

مَرَّةً أُخْرى لا جَوابَ .

« أَيْنَ ذَلِكَ الصَّبِيُّ الآنَ ؟ » تَساءَلَتِ السَّيِّدَةُ في نَفْسِها ، ثُمَّ اسْتَطْرَدَتْ : « لَو أَمْسَكْتُ بِهِ ، فَسَوْفَ ...» وَلَكِنَّ القِطَّةَ كانَتْ تَحْتَ الفِراشِ ، وَ أَسْرَعَتْ هارِبَةً وَ تَوَقَّفَتِ السَّيِّدَةُ ثُمَّ أَضافَتْ : « لَمْ أَرَ شَخْصاً مِثْلَ ذَلِكَ الصَّبِيِّ .»

وَ اتَّجَهَتْ نَحْوَ البابِ المَفْتوحِ ، وَ نادَتْ : « توم ! توم !»

وَسَمِعَتْ صَوْتاً خَلْفَها ، فَالْتَفَتَتْ بِسُرْعَةٍ ، وَرَأَتْ توم وَهُوَ يُحاوِلُ

الخُروجَ ، فَصاحَتْ بِهِ : « ما الَّذي كُنْتَ تَفْعَلُهُ بِجِوارِ تِلْكَ الخِزانَةِ ؟»

« لا شَيْءَ ، يا خالَتي .»

« لا شَيْءَ ؟ انْظُرْ إِلى يَدَيْكَ ، وَ انْظُرْ إِلى فَمِكَ في المِرْآةِ .. لَقَدْ سَرَقْتَ شَيْئًا وَ أَكَلْتَهُ .. لا تَفْتَحْ تِلْكَ الخِزانَةَ ! لَقَدْ قُلْتُ لَكَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعينَ مَرَّةً . إِلَيَّ بِهَذِهِ العَصا !»

وَ تَناوَلَتِ الخالَةُ العَصا وَ رَفَعَتْها إِلى أَعْلى ؛ فَأَصْبَحَ الخَطَرُ قَريباً جِدًّا مِنْ توم ، وَكانَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَكِّرَ بِسُرْعَةٍ .

صَرَخَ توم : « آه .. انْظُري خَلْفَكِ ، يا خالَتي !»

اسْتَدارَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ بِسُرْعَةٍ لِتَنْظُرَ ، فَأَسْرَعَ توم بِالفِرارِ مِنَ البَيْتِ وَتَسَلَّقَ السّورَ ، وَ قَفَزَ مِنْهُ إِلى الجانِبِ الآخَرِ . وَ دَهِشَتْ خالَتُهُ بوللي لِلَحْظَةٍ ، ثُمَّ أَغْرَقَتْ في الضَّحِكِ .

وَ قالَتْ في نَفْسِها : « إِنَّه ذَكِيٌّ وَلا أُحِبُّ أَنْ أَضْرِبَهُ ، فَهوَ ابْنُ أُخْتي المِسْكينَةِ الَّتي ماتَتْ ! لَكِنْ إِذا لَمْ أَضْرِبْهُ فَلَنْ يُصْبِحَ رَجُلاً صالِحًا . إِنَّهُ وَلَدٌ شَقِيٌّ ، وَ قَدْ لا يَذْهَبُ إِلى المَدْرَسَةِ في عَصْرِ هذا اليَوْمِ . فَإِذا لَمْ يَذْهَبْ فَسَأُعاقِبُهُ بِأَنْ أَجْعَلَهُ يَعْمَلُ غَدًا .»

وَ لَمْ يَذْهَبْ توم إِلى المَدْرَسَةِ ، وَ بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ اسْتَمْتَعَ تَماماً

بالوقتِ في اللّهو ، وَعادَ إلى البَيْتِ مُتَأخِّرًا . وَرأى جيم ، الخادِمَ الصَّغيرَ ، يُقَطِّعُ الأخْشابَ ، فَساعَدَهُ بَعْضَ الشَّيْءِ ، وَقامَ جيم بِمُعْظَمِ العَمَلِ الشّاقِّ عَلى حينَ عَمِلَ توم بِرِفْقٍ ، وَ حَكى لِجيم مُغامَراتِهِ. وَ بَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ أصْبَحَ الخَشَبُ مُعَدًّا لِلاسْتِخْدامِ في المِدْفَأةِ .

وَكانَ لِتوم أخٌ أصْغَرُ اسْمُهُ سيدْني ، وكانَ هادِئَ الطَّبْعِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ المُغامَراتِ أوْ يَهْواها ، وَكانَ قَدْ فَرَغَ لِتوم مِنْ أداءِ واجِباتِهِ المَدْرَسِيَّةِ .

وَجَلَسَ الجَميعُ لِتَناوُلِ طَعامِ العَشاءِ ، وَشَرَعَ توم يَسْرِقُ السُّكَّرَ كُلَّما حانَتْ لَهُ الفُرْصَةُ. وَلَمْ تَلْحَظْ خالَتُهُ ذلِكَ قطُّ. وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ الكَثيرَ مِنَ الأسْئِلَةِ ، فَظَنَّتْ أنَّ أسْئِلَتَها غايَةٌ في الذَّكاءِ ، وَلَكِنَّ توم فَطِنَ إلى ما كانَتْ تَرْمي إلَيْهِ .

سَألَتْهُ : « هَلْ كانَ الجَوُّ حارًّا في المَدْرَسَةِ ، يا توم ؟»

« نَعَمْ ، يا خالَتي .»

« كانَ حارًّا جدًّا ، أليْسَ كَذَلِكَ ؟»

« بَلى .»

« أَلَمْ تَكُنْ تَرْغَبُ في السِّباحَةِ ، يا توم ؟»

وَلَمْ يَكْشِفْ وَجْهُها لِتوم عَنْ أيِّ شَيْءٍ ، فأجابَ : « لا يا خالَتي .. لَيْسَ كَثيرًا .»

وَ كانَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ تَحيكُ ياقَةَ قَميصِهِ أحْيانًا ، و تُحْكِمُ إغْلاقَها . وَمِنْ ثَمَّ لا يَسْتَطيعُ فَكَّها أوْ خَلْعَ قَميصِهِ لِيَسْبَحَ ؛ فَلَمَسَتْ قَميصَهُ ، لَكِنَّه كانَ جافًّا .

قالَتْ : « افْتَحْ قَميصَكَ ، يا توم ، وَدَعْني أرى ياقَتَكَ ؟»

وعِنْدَما رَأتِ الياقَةَ ، وَكانَتْ لا تَزالُ عَلى وَضْعِها ، قالَتْ : « ظَنَنْتُ أنَّكَ ذَهَبْتَ لِتَسْبَحَ ، وَلَكِنَّكَ وَلَدٌ طَيِّبٌ ، وَعَلى ذَلِكَ سَامَحْتُكَ .»

قالَ سيدْني : « لَقَدْ خِطْتِ ياقَتَهُ بِخَيْطٍ أبْيَضَ ، يا خالَتي ، ولَكِنَّ الخَيْطَ لَوْنُهُ أسْوَدُ الآنَ . انْظُري إلَيْهِ !» فَجَرَى توم هارِبًا مِنَ البابِ ، وَهُوَ يَقولُ : « سَأضْرِبُكَ مِنْ أجْلِ ذَلِكَ ، يا سيدْ .»

وَعِنْدَما أصْبَحَ توم خارِجَ البَيْتِ ، اسْتَبَدَّ بِهِ الغَضَبُ مِنْ أخيهِ سيدْ ، وَراحَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « إنَّها تَسْتَخْدِمُ أحْيانًا خَيْطًا أبْيَضَ ، وأحْيانًا خَيْطًا أسْوَدَ ، فَكَيْفَ أتَذَكَّرُ في كُلِّ مَرَّةٍ ؟»

وَلَكِنَّ توم سَرْعانَ ما نَسِيَ مَشاكِلَهُ ؛ لأنَّهُ رَأى صَبِيًّا غَريبًا لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أنْ رَآهُ . وكان الوَلَدُ أكْبَرَ مِنْ توم ، وكانَتْ مَلابِسُهُ نَظيفَةً،

وفي قَدَمَيْهِ حِذاءٌ . وَكان توم نَفْسُهُ لا يَلْبَسُ الحِذاءَ إلّا في أيّامِ الآحادِ ، وَ لَمْ يَكُنِ اليَوْمُ يَوْمَ الأحَدِ . وَلَمْ يُعْجَبْ توم بِالوَلَدِ الغَريبِ وَ لا بِمَلابِسِهِ.

نَظَرَ إلَيْهِ توم وَقالَ : « يُمْكِنُني أنْ أطْرَحَكَ أرْضاً .»

رَدَّ الصَّبِيُّ الغَريبُ : « حاوِلْ ذَلِكَ إنِ اسْتَطَعْتَ .»

« يُمْكِنُني أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ .»

قالَ الغَريبُ : « لا ، لَنْ يُمْكِنَكَ .»

« بلْ أسْتَطيعُ .»

« لَنْ تَسْتَطيعَ .»

« أسْتَطيعُ .»

« لَنْ تَقْدِرَ .»

« بل أقْدِرُ .»

« لَنْ ...»

وَأعْقَبَتْ هَذِهِ المُحادَثَةَ لَحْظَةُ صَمْتٍ قَصيرةٌ سَأَلَهُ توم بَعْدَها :

« ما اسْمُكَ ؟»

« لَنْ أقولَ لَكَ .»

قالَ توم : « أسْتَطيعُ أنْ أطْرَحَكَ أرْضاً بِيَدٍ واحِدَةٍ ، وَيَدي الأخْرى وَراءَ ظَهْري .»

« فَلِماذا لا تَفْعَلُ ؟ تَقولُ إنَّكَ تَسْتَطيعُ ذلِكَ .»

قالَ توم : « سَأُلْقي بِحَجَرٍ عَلى رَأسِكَ .»

« لا ، لَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ . إنَّكَ تَتَكَلَّمُ فَقَطْ . إنَّكَ لا تَفْعَلُ شَيْئاً فأنْتَ خائِفٌ .»

« أنا لَسْتُ بِخائِفٍ .»

قالَ الصَّبِيُّ الغَريبُ : « بَلْ أنْتَ خائِفٌ .»

نَظَرَ كُلٌّ مِنَ الوَلَدَيْنِ بِغَضَبٍ إلى الآخَرِ ، وَاقْتَرَبا حَتّى تَلامَسَتْ أكْتافُهُما ، فَقالَ توم : « اذْهَبْ بَعيداً عَنْ هُنا وَإلّا قاتَلْتُكَ .»

وَ لَمْ يَتَحَرَّكِ الوَلَدُ الغَريبُ مِنْ مَكانِهِ .

وَ بَدَأ الاثْنانِ يَتَدافَعانِ ، وَاشْتَدَّ تَلاحُمُهما بَعْضَ الوَقْتِ ، ثُمَّ توقَّفا لِيَسْتَريحا . وَرَسَمَ توم خَطّاً عَلى الأرْضِ بِقَدَمِهِ ، وَقالَ : « لَنْ تَجْرُؤَ عَلى تَخَطّي هذا الخَطِّ ، فَإذا فَعَلْتَ فَسَأَضْرِبُكَ .»

وَفي الحالِ عَبَرَ الصَّبِيُّ الغَريبُ الخَطَّ المَرْسومَ عَلى الأرْضِ . وفي

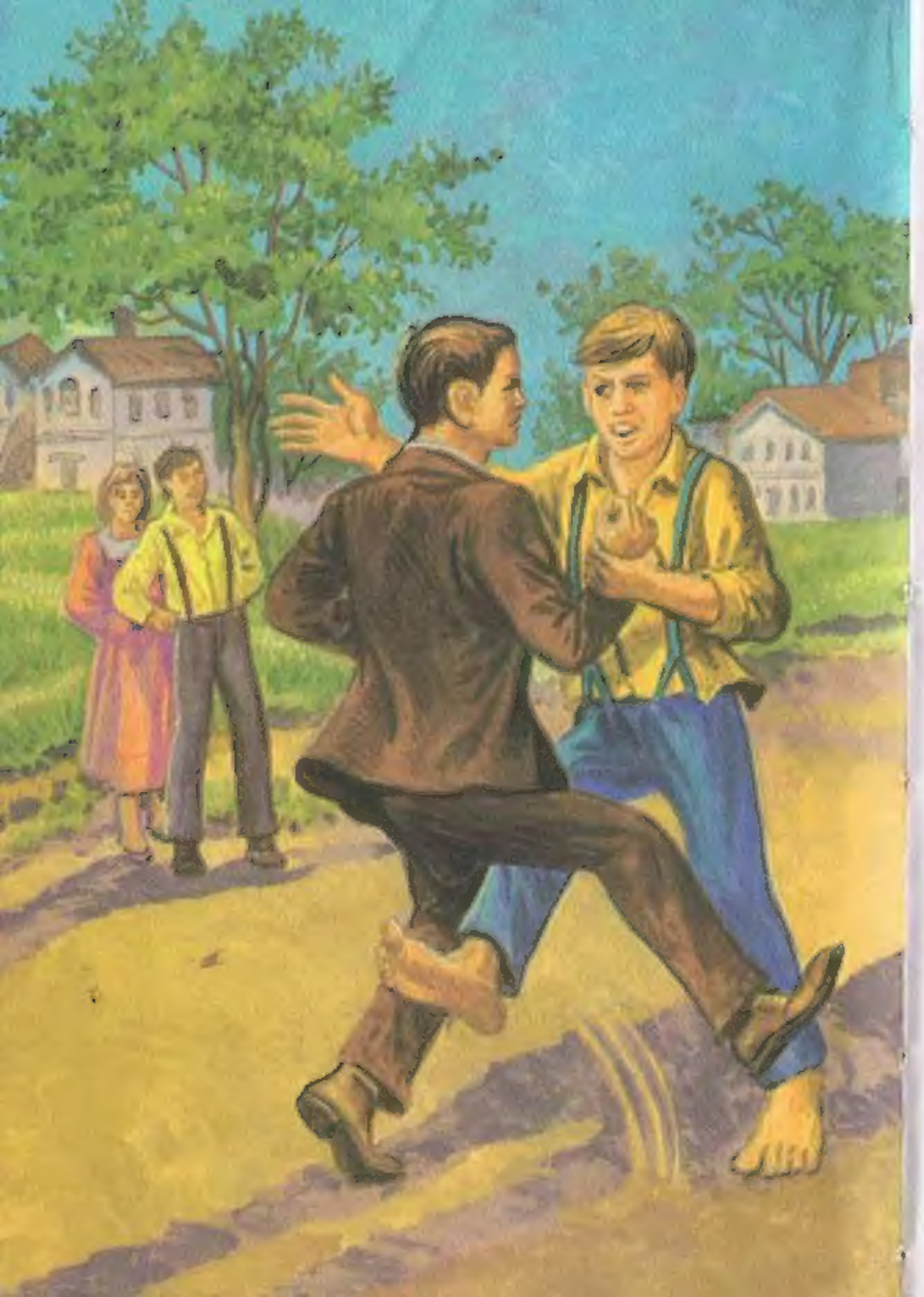

لَحْظَةٍ كانَ الخَصْمانِ يتعارَكانِ وَسْطَ القاذوراتِ ، وَ يَتَدَحْرَجانِ عَلى الأَرْضِ ، وَسالَتِ الدِّماءُ مِنْ أَنْفَيْهِما عَلى التُّرابِ . وَسَرْعانَ ما اتَّسَخَ الاثْنانِ وَأَصْبَحَتْ مَلابِسُهُما في حالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَ انْتَهَتِ المَعْرَكَةُ بِأَنْ جَلَسَ توم فَوق غَريمِهِ قائِلاً: « هل اكْتَفَيْتَ ؟»

وَحاوَلَ الوَلَدُ الغَريبُ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ ، لَكِنَّ توم ضَرَبَهُ مَرَّةً أُخْرى ، فَصَرَخَ الوَلَدُ قائِلاً : « كَفى !» فَتَرَكَهُ توم يَنْهَضُ مِنْ مَكانِهِ ، وَبَدَأَ يَسيرُ مُبْتَعِداً ، وَهُوَ يَنْفُضُ الْغُبارَ عَنْ مَلابِسِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ بِغَضَبٍ نَحْوَ توم . لَكِنَّ توم ضَحِكَ ساخِراً .

وَقَذَفَ الوَلَدُ الغَريبُ توم بِحَجَرٍ ، فَأَسْرَعَ توم يَجْري وَراءَهُ ، وَأَخيراً دَخَلَ الوَلَدُ بَيْتَهُ ، فَرَآهُ توم فَوَقَفَ لَكِنَّ وَالِدَةَ عَدُوِّهِ رَأَتْهُ فَقالَتْ إِنَّ توم وَلَدٌ شِرِّيرٌ ، فَسارَ مُبْتَعِداً بِبُطْءٍ .

وَعِنْدَما وَصَلَ توم إِلى مَنْزِلِهِ كانَتِ الخالَةُ بوللي في انْتِظارِهِ . وَنَظَرَتْ إِلى مَلابِسِهِ المُتَّسِخَةِ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُها مِنْهُ ، وَقالَتْ لَهُ بِحَزْمٍ : « سَأُعاقِبُكَ عَلى ذَلِكَ ، بِأَنْ أُكَلِّفَكَ بِالقِيامِ بِبَعْضِ الأَعْمالِ غَداً .»

الفصل الثاني

توم يُدْهِش الخالة بوللي

كانَ يَوْمُ السَّبْتِ صَحْواً ، وَالعالَمُ يَبْدو سَعيداً ؛ فَالزُّهورُ وَالأشْجارُ رائِعَةُ الجَمالِ في ذَلِكَ الصَّباحِ المُبْهِجِ . وَ أرادَ توم أنْ يَذْهَبَ إلى تَلِّ كارْديف الواقِعِ وَراءَ القَرْيَةِ ، وَ لكِنَّهُ خَرَجَ مِنَ البَيْتِ حَزيناً .

كانَتْ فُرْشاةٌ في إحْدى يَدَيْهِ ، وَ دَلْوٌ في اليَدِ الأخْرى ، وَ قَدِ امْتَلأ الدَّلْوُ بِطِلاءٍ جيرِيٍّ أبْيَضَ . وَكانَ على توم اسْتِخْدامُهُ لِطِلاءِ السّورِ . وَ نَظَرَ توم بأسًى وَ حُزْنٍ إلى السُّورِ الَّذي كانَ طولُهُ نَحْوَ ثَلاثينَ مِتْراً ، وَ ارْتِفاعُهُ أكْثَرَ مِنْ مِتْرَيْنِ . وَ بَدَتِ الحَياةُ لِتوم كَئيبَةً جِدًّا .

وَ غَمَسَ توم الفُرْشاةَ في الطِّلاءِ الأبْيَضِ ، وَ حَرَّكَها فَوْقَ الخَشَبِ ؛ فَتَرَكَتْ عَلامَةً بَيْضاءَ ، وَ لكِنَّها كانَتْ عَلامَةً صَغيرَةً جِدًّا . ثُمَّ نَظَرَ توم إلى بَعيدٍ فَرَأى جيم وَ هُوَ يَحْمِلُ دَلْواً آخَرَ لِيَمْلأَهُ

بِالماءِ مِنَ الطُّلُمْبَةِ . وَتَذَكَّرَ توم أنَّ ثَمَّةَ أوْلاداً آخَرينَ عِنْدَ الطُّلُمْبَةِ ، وَقَدْ يَتَحَدَّثُ جيم مَعَهُمْ ، وَ لكِنْ لا وُجودَ لِلأولادِ عِنْدَ السّورِ .

وَنادى توم بِأعْلى صَوْتِهِ : « جيم ! سَأمْلأُ دَلْوَكَ بِالماءِ لَوْ عاوَنْتَني في طِلاءِ السّورِ . »

أجابَهُ جيم : « لا ؛ فَالسَّيِّدَةُ أمَرَتْني بألا أطْلِيَ السّورَ . وَقالَتْ لا بُدَّ أنْ أعودَ بِالماءِ . »

صَرَخَ توم في وَجْهِهِ : « إنَّها دائِماً تَتَكَلَّمُ عَلى هَذا النَّحْوِ . أعْطِني هَذا الدَّلْوَ لأحْضِرَ الماءَ ، وَ سَأعْطيكَ « بِلْيَةً » مُقابِلَ ذَلِكَ ، يا جيم . »

أجابَهُ جيم : « بِلْيَةَ !» وَ تَرَدَّدَ ؛ لأَنَّهُ يُحِبُّ « البِلْيَ » ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ : « وَ لَكِنِّي خائِفٌ مِنَ السَّيِّدَةِ العَجوزِ .»

وَأَسْرَعَ توم بِإِخْراجِ « بِلْيَةٍ » مِنْ جَيْبِهِ ، وَأَمْسَكَها بِيَدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْها جيم بِجَشَعٍ ؛ وَ وَضَعَ الدَّلْوَ عَلى الأَرْضِ وَ أَخَذَ « البِلْيَةَ » وَلَمْ يَفْطِنْ إِلى الخالَةِ بوللي ، وَهِيَ واقِفَةٌ خَلْفَهُ ، وَ قَدْ أَمْسَكَتْ بِحِذائِها ، وَ ضَرَبَتْهُ بِهِ .

وَفي اللَّحْظَةِ التّالِيَةِ كانَ جيم يَجْري عَلى طُولِ الشّارِعِ ، في حِينِ كانَ توم يَطْلِي السّورَ بِهِمَّةٍ وَ نَشاطٍ . وَلَوَّحَتِ الخالَةُ بوللي بِحِذائِها مِنْ فَوْقِ رَأْسِها ثُمَّ عادَتْ إِلى البَيْتِ .

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ تَوَقَّفَ توم عَنِ الطَّلاءِ ، وَأَلْقى بِالفُرْشاةِ جانِباً ، وَأَخْرَجَ كُلَّ ما في جُيوبِهِ مِنْ « بِلْي » قَديمٍ ، وَقِطَعٍ مِنَ الخَيْطِ وَاللُّعَبِ وَأَشْياءَ كَثيرةٍ أُخْرى . وَ نَظَرَ إِلى هذِهِ الأَشْياءِ نَظْرَةً حَزينَةً ، وَقالَ : « لا أَحَدَ يُريدُ هَذِهِ الأَشْياءَ ، وَ لَنْ يَطْلِيَ أَحَدٌ السّورَ إِذا أَعْطَيْتُهُ « بِلْيَةً » وَ لَنْ يَعْمَلَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ قِطْعَةِ خَيْطٍ .»

وَلَكِنْ سَرْعانَ ماخَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ ؛ فالتَقَطَ الفُرشاةَ مَرَّةً أُخْرى ، وَ ظَهَرَ أَمامَهُ بِنْ روجَرْز ، وَكانَ يَأْكُلُ تُفّاحَةً وَهُوَ في غايَةِ السَّعادَةِ . وَكانَ يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ سَفينَةٌ كَبيرَةٌ ، وَ تَحَرَّكَ بِطَريقَةٍ غَريبَةٍ عَلى طولِ

الطَّريقِ ، وَ دارَ مِنْ جانِبٍ إِلى جانِبٍ . وَفي صَوْتٍ عالٍ أَعْطى أَوامِرَ أَطاعَتْها السَّفينَةُ في الحالِ .

لَمْ يَنْتَبِهْ توم لِلسَّفينَةِ الغَريبَةِ و ظَلَّ يَطْلِي السّورَ ، وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئاً ، وَلَكِنَّ بِنْ لاحَظَ وُجودَ توم ، فَناداهُ : « توم ! ما الَّذي تَفْعَلُهُ ؟ هَلْ أَنْتَ في مَأْزِقٍ ، يا وَلَدي ؟ إِنَّكَ تَعْمَلُ !»

طَلى توم جُزْءاً آخَرَ مِنَ السّورِ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً ؛ ثُمَّ وَقَفَ وِقْفَةَ فَنّانٍ ، وَأَلْقى نَظْرَةً عَلى الطَّلاءِ الأَبْيَضِ .

قالَ بِنْ مَرَّةً أُخْرى : « توم ! لِماذا أَنْتَ تَعْمَلُ ؟»

ردَّ توم : « آهِ ، إِنَّه أَنْتَ ! لَمْ أَلْحَظْ وُجودَكَ .»

قالَ بِنْ : « إِنَّني ذاهِبٌ لِلسِّباحَةِ وَ أَنْتَ لا تُريدُ أَنْ تَأْتِيَ . هَلْ تُريدُ ؟ أَرى أَنَّكَ تُريدُ أَنْ تَعْمَلَ فَذَلِكَ أَفْضَلُ كَثيراً .» ثُمَّ ضَحِكَ بِنْ بِصَوْتٍ عالٍ .

نَظَرَ توم إِلى بِنْ بِهُدوءٍ ، ثُمَّ قالَ : « ما العَمَلُ ؟ مَاذا تُسَمّي العَمَلَ ؟»

أَجابَ بِنْ : « أَ لَيْسَ ذَلِكَ عَمَلاً ؟»

رَدَّ توم : « رُبَّما .» ثُمَّ عادَ إِلى عَمَلِهِ قائِلاً : « إِنَّهُ يُناسِبُني .»

صاحَ بِنْ : « ماذا ؟» وَقَدْ أَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ فعادَ يَقولُ : « هَلْ يُعْجِبُكَ هذا العَمَلُ ؟»

« لِمَ لا ؟ فَنادِراً ما يَحْصُلُ الواحِدُ مِنّا عَلى فُرْصَةٍ كَهَذِهِ . إنَّكَ لَمْ تَطْلِ سوراً مِنْ قَبْلُ . هَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟»

غَيَّرَتْ هذِهِ المُحادَثَةُ أَفْكارَ بِنْ ، في حِينَ تَحَرَّكَتْ فُرْشاةُ توم بِنُعومَةٍ عَلى الخَشَبِ ، وبِنْ يُراقِبُهُ ، ثُمَّ صاحَ : « توم ! دَعْني أَطْلي السّورَ قَليلاً !»

وَ فَكَّرَ توم ، وَكادَ يُوافِقَ ، لَكِنَّهُ قالَ : « لا يا بِنْ ، عَلَيَّ أن أُطْلِيَ السّورَ جَيِّداً . وَلا بُدَّ أنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِنَفْسي ؛ لِكَيْ يَكونَ جَميلاً عِنْدَما أَنْتَهي مِنْهُ . قالَتْ خالَتي لا بُدَّ أنْ أُطْلِيَهُ بِحَذَرٍ شَديدٍ .»

« بَلْ دَعْني أُجَرِّبْ قَليلاً !»

« لا ، يا بِنْ . لَقَدْ أَمَرَتْني خالَتي أنْ أُطْلِيَهُ وَحْدي ، فَإذا طَلَيْتَهُ أَنْتَ فَسَوْفَ تَرْتَكِبُ خَطَأً ؛ فَأَنْتَ لا تُجيدُ الطِّلاءَ .»

« لَنْ أَرْتَكِبَ خَطَأً ، وَسَأُعْطيكَ تُفّاحَتي .»

وَظَهَرَتْ عَلى وَجْهِ توم عَلاماتُ الشَّكِّ ، وَ لَكِنَّهُ ناوَلَ بِن الفُرْشاةَ ، وارْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ الكآبَةُ لَكِنَّ قَلْبَه كانَ فَرِحاً .

وَعَمِلَ بِنْ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ ، وَ سُرْعانَ ما أَحَسَّ بِحَرارَةِ الجَوِّ ، في حِينَ جَلَسَ توم عَلى الأَرْضِ يَأْكُلُ التُّفّاحَةَ ، وَراحَ يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ وَيَنْسِجُ خُطَطاً أُخْرى .

وَاكْتَفى بِنْ بِما قامَ بِهِ مِنْ طِلاءِ السّورِ وَ غادَرَ المَكانَ . وَ لَكِنْ جاءَ أَوْلادٌ آخَرونَ ، وَ سَخِروا مِنْ توم عِنْدَما رَأَوْهُ . وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى كانوا هُمْ أَيْضاً يَطْلونَ السّورَ . وَبِالطَّبْعِ كانَ عَلَيْهِم أَنْ يَدْفَعُوا لِتوم مُقابِلَ المُتْعَةِ العَظيمَةِ الَّتي تَمَتَّعوا بِها ، وَ كانَتْ حَصيلَتُهُ بَعْضَ حَيواناتٍ نافِقَةٍ وَ قِطَعاً مِنَ الخُيوطِ . وأَعْطَوْهُ أَيْضاً اثْنَتَيْ عَشْرَةَ « بِلْيَةً » وَ بَعْضَ قِطَعِ الزُّجاجِ الأَزْرَقِ اللَّوْنِ مِنْ قارورَةٍ . كَما حَصَلَ عَلى تِمْثالٍ جُنْدِيٍّ مِنَ الصَّفيحِ ، وَ مِفْتاحٍ لَمْ يَفْتَحْ أَيَّ شَيْءٍ بِالطَّبْعِ . وَحَصَلَ أَيْضاً عَلى طَوْقٍ يُعَلَّقُ بِرَقَبَةِ كَلْبٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ على كَلْبٍ . وَ كانَ مَعَهُ مِقْبَضُ سِكّينٍ وأَرْبَعَةُ أَجْزاءٍ مِنْ بُرْتُقالَةٍ . وَ تَكاسَلَ توم بَعْضَ الوَقْتِ ، وَ لَمْ يُؤَدِّ عَمَلاً آخَرَ بَعْدَ أَنْ طَلى السّورَ بِثَلاثِ طَبَقاتٍ مِنَ الطِّلاءِ .

وَاكْتَشَفَ توم قانوناً عظيماً عَلى النَّحْوِ التّالي : إذا لَمْ يَنَلْ إنْسانٌ شَيْئاً ما ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُلِحَّ في طَلَبِهِ . وَإذا كانَ عَلى الإنْسانِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً ، فَالشَّيْءُ هُوَ العَمَلُ . فَإذا لَمْ يَكُنْ راغِباً في أَدائِهِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ عَمَلاً . إنَّ تَسَلُّقَ جَبَلٍ شاهِقٍ مُتْعَةٌ ؛ لأَنَّهُ لا حاجَةَ لأَيِّ إنْسانٍ

أنْ يفْعل ذلك . فَقِيادةُ عَرَبةٍ لِنفْسِك مُتْعةٌ أيْضاً ، وَ لكِنَّ قِيادَةَ عَرَبةٍ لِغَيْرِكَ هُو عَمَلٌ

الفصل الثالث

فتاة الحديقة

تَساءَلَ توم : « هَلْ أَسْتَطيعُ أنْ أَذْهَبَ لأَلْعَبَ الآنَ ، يا خالَتي ؟»

صاحَتْ : « الآنَ ؟ كَمْ مِنَ السّورِ طَلَيْتَ ؟»

رَدَّ توم : « إنَّ السّورَ أَبْيَضُ اللَّوْنِ الآنَ ، يا خالَتي .»

« توم ! لا تَكْذِبْ عَليَّ فَأنا لَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُ ذَلِكَ .»

« أنا لا أَكْذِبُ ، يا خالَتي .»

وَ خَرَجَتِ الخالَةُ لِتُلْقِيَ نَظْرَةً عَلى السّورِ ، وَ دُهِشَتْ عِنْدَما رَأَتْهُ. وَ لَمْ تَسْتَطِع الكَلامَ لَحْظَةً ثُمَّ قالَتْ : « آه ، يا توم ! تَسْتَطيعُ أنْ تَعْمَلَ عِنْدَما يَحْلو لَكَ ذلِكَ ، وَ لكِنَّكَ لا تُريدُ أنْ تَعْمَلَ بَيْنَ وَقْتٍ وآخَرَ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ يُمْكِنُكَ أنْ تَذْهَبَ الآنَ لِتَلْعَبَ ، ولكِنْ

لا تَتَأخَّرْ عِنْدَ عَوْدَتِكَ .» وابْتَسَمَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ العَجوزُ وَأَعْطَتْهُ تُفّاحَةً .

وَعِنْدَما خَرَجَ توم مِنَ المَنْزِلِ رَأى أَخاه سِيدْ فَقَذَفَهُ بِبَعْضِ الحَصى، ثُمَّ انْطَلَقَ مُتَّجِهًا نَحْوَ القَرْيَةِ . وَهُناكَ التَقى فَريقانِ مِنَ الأَوْلادِ عَلى هَيْئَةِ جُنودٍ لِلْقِتالِ . وَقادَ توم بِنَفْسِهِ أَحَدَ الجَيْشَيْنِ وَصَديقُهُ جو هارْپَر الجَيْشَ الآخَرَ . وَدارَتْ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الجَيْشَيْنِ ، كُتِبَ النَّصْرُ فيها لِجَيْشِ توم ، ثُمَّ حَدَّدَ الأَوْلادُ مَوْعِدَ المَعْرَكَةِ التّالِيَةِ ، وَبَدَأَ توم العَوْدَةَ إلى بَيْتِهِ .

وَعِنْدَما مَرَّ توم بِمَنْزِلِ جيف ثاتْشَر شاهَدَ فَتاةً لَمْ يَرَها مِنْ قَبْلُ . وَكانَ شَعْرُها أَصْفَرَ اللَّوْنِ ، وَ عَيْناها زَرْقاوَيْنِ . وَكانَ مُعْجَبًا بِفَتاةٍ تُدْعى آمي لورانس ، وَلَكِنَّه سَرْعانَ ما نَسِيَها عَلى الفَوْرِ . وَكانَ قَدْ كَدَّ شُهورًا طَويلَةً كَيْ يَحْظى بِحُبِّ آمي لورانس ، وَلَكِنَّها الآنَ قَدِ اخْتَفَتْ مِنْ تَفْكيرِهِ . وَراحَ يُراقِبُ الفَتاةَ الجَديدَةَ مُحْتَلِسًا النَّظَرَ إِلَيْها لِبَعْضِ الوَقْتِ ، وَلَكِنَّها لَمَحَتْهُ وَتَظاهَرَ بِأَنَّهُ لَمْ يَرَها ، وَحاوَلَ أَنْ يَقومَ بِبَعْضِ المَهاراتِ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَرَآها تَتَّجِهُ نَحْوَ البَيْتِ ، فَدَا الأَسى عَلى وَجْهِهِ . وَأَخَذَتْ تَرْتَقي الدَّرَجَ ، وَلَكِنَّها في آخِرِ لَحْظَةٍ أَلْقَتْ بِزَهْرَةٍ عَبْرَ السّورِ .

وَجَرى توم نَحْوَ الزَّهْرَةِ وَالتَقَطَها سِرًّا وَدَسَّها في جَيْبِ سُتْرَتِهِ بِالقُرْبِ مِنْ قَلْبِهِ . وَانْتَظَرَ بِجِوارِ السّورِ لِوَقْتٍ طَويلٍ ، وَلَكِنْ عِنْدَما

حَلَّ اللَّيْلُ لَمْ تَخْرُجِ الفَتاةُ ثانِيَةً ، فَعادَ إلى بَيْتِهِ بِبُطْءٍ .

وَ وَبَّخَتْهُ خالَتُه لِما فَعَلَهُ بِأخيهِ سيدْ ، كَما ضَرَبَتْهُ لِسرِقَتِهِ بَعْضَ قِطَعٍ مِنَ السُّكَّرِ .

قال توم وَهُوَ مُنْفَعِلٌ : « إنَّكِ لا تَضْرِبينَ سيدْ أَبَدًا عِنْدَما يَسْرِقُ قِطَعَ السُّكَّرِ . »

أجابَتْهُ : « إنَّ سيدْ وَلَدٌ أَفْضَلُ مِنْكَ . » ثُمَّ ذَهَبَتْ إلى المَطْبَخِ .

وَامْتَدَّتْ يَدُ سيدْ إلى عُلْبَةِ السُّكَّرِ وَ دَفَعَها ، فَسَقَطَتْ على الأَرْضِ مِنْ فَوْقِ المائِدَةِ وَ تَحَطَّمَتْ . وَ فَرِحَ توم فَرَحًا عَظيمًا لِهَذِهِ الحادِثَةِ ، وَقالَ في نَفْسِهِ : « عِنْدَما تَعودُ خالَتي سَتَغْضَبُ مِنْ سيدْ . » وَ انْتَظَرَ عَوْدَتَها بِفَرَحٍ وَسُرورٍ .

وَلَمَّا عادَتِ الخالَةُ لاحَظَتْ عَلى الفَوْرِ عُلْبَةَ السُّكَّرِ المُحَطَّمَةَ، وَأَدْخَلَ وَجْهُها الغاضِبُ السُّرورَ والسَّعادَةَ على توم ، وارْتَسَمَتْ الابْتِسامَةُ عَلى مُحَيّاهُ . و لَكِنْ فَجْأَةً أَلْقَتْ بِهِ عَلى الأَرْضِ .

صرخ توم : « لِمادا تَضْرِبينَني ؟ سيدْ هُوَ الَّذي حَطَّمَ العُلْبَةَ وَلَمْ أُحَطِّمْها أنا . »

لَمْ تَفُهِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ بِكَلِمَةٍ ، وَأَحَسَّتْ فَجْأَةً بِالأَسَفِ نَحْوَ توم.

وَأَرادَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحَنانٍ ، وَ لَكِنْ كانَ ذَلِكَ صَعْبًا عَلَيْها . وَأَخيرًا قالَتْ : « يَجِبُ عَلَيَّ أَن أَضْرِبَكَ بَيْنَ وَقْتٍ وَ آخَرَ ، فَأَنْتَ وَلَدٌ شَقِيٌّ سَيِّءٌ . » وَلَمْ تَقُلْ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ عَمِلَتْ في صَمْتٍ أَمّا توم فَقَدْ فَهِمَ ما تَرْمي إلَيْهِ ، وَظَلَّ هادِئًا في رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ الغُرْفَةِ يَتَأَلَّمُ لِحالِهِ . وَحاوَلَ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَنَّه ماتَ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : « إذا مِتُّ فَسَوْفَ تَشْعُرُ خالَتي بِالأَسى وَالحُزْنِ عَلى فِراقي . » وَتَخَيَّلَها مُنْحَنِيَةً فَوْقَهُ وَهِيَ تَبْكي ، وَتَقولُ : « لَيْتَهُ يَغْفِرُ لي ! » لَكِنَّه أَدارَ وَجْهَهُ تُجاهَ الحائِطِ وَتَماوَتَ . وَلَكِنَّ خالَتَهُ لَمْ تَفْعَلْ شَيْئًا، فَشَعَرَ بِحُزْنٍ عَميقٍ وَبَدَأَ يَبْكي في سُكونٍ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ ماري ابْنَةُ خالَتِهِ ، وَ بَدَأَتْ تَرْقُصُ بِسَعادَةٍ في أَرْجاءِ الغُرْفَةِ . وَلَمْ يَتَحَمَّلْ توم النَّظَرَ إلى عَيْنَيْها اللّامِعَتَيْنِ فَخَرَجَ مِنَ البَيْتِ وَسارَ حَتّى بَلَغَ النَّهْرَ ، وَجَلَسَ عَلى ضِفَّتِهِ . وأَخْرَجَ الزَّهْرَةَ مِنْ جَيْبِ سُتْرَتِهِ وَ راحَ يَنْظُرُ إلَيْها بِحُزْنٍ . وقال في نَفْسِهِ : « تُرى هَلْ هَذِهِ الفَتاةُ قاسِيَةٌ أَيْضًا ، أَمْ هِيَ فَتاةٌ عَطوفٌ ؟ »

وَفي السّاعَةِ التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ لَيْلاً كانَ توم خارِجَ مَنْزِلِها مَرَّةً ثانِيَةً . وَكانَ الصَّمْتُ يُحيطُ بِالمَنْزِلِ ، وَالنَّوافِذُ مُظْلِمَةً بِاسْتِثْناءِ نافِذَةٍ واحِدَةٍ ، فَتَسَلَّقَ السّورَ وَسارَ بِهُدوءٍ في الحَديقَةِ وَ وَقَفَ تَحْتَ النّافِذَةِ لَحْظَةً ، وَتَساءَلَ هَلْ هِيَ هُناكَ في الدَّوْرِ العُلْوِيِّ ؟ وَجَلَسَ على

الأرْضِ تَحْتَ النّافِذَةِ مُمْسِكاً بالزّهْرَةِ في يَدِهِ يُفكّرُ في الفَتاةِ .
وَرَأى أنْ يَتظاهَرَ بِالمَوْتِ عَلى النّحْوِ الّذي فَعَلَهُ قَتْلاً في بَيْتِ خالَتِهِ ،
وَ قال في نَفْسِهِ : « ستَراني في الصّباحِ جُثّةً هامِدَةً ، وَ رُبّما تَبكي
عَليّ قَليلاً لأنّني سأكونُ مَيّتاً .»

وَ فَجْأةً فَتحَ شخْصٌ النّافِذَةَ وَأطْلَقَ صَيْحَةً . وَ سَقَطَتْ عَلى الفَتى
الشُّجاعِ كَمّيّةٌ كَبيرَةٌ مِنَ الماءِ البارِدِ ، فَهَبّ واقِفاً بِسُرْعَةٍ عَلى
قَدَمَيْهِ . وَ طارَ شَيْءٌ في الهَواءِ بِالقُرْبِ مِنْ رَأسِهِ ، ثُمّ رأى شَيْئاً أسْوَدَ
اللّوْنِ يَتحَرّكُ . تُرَى هَلْ كانَ ذَلِكَ الشّيْءُ قِطّةً ؟ لَقَدْ قَفَزَ ذَلِكَ
الشّيءُ مِنْ فَوْقِ السّورِ وَاخْتفى في ظَلامِ اللّيْلِ .

الفصل الرابع
يَوْمُ الاثنَيْنِ يَبْدأ بِدايَةً سَيِّئَة

اعْتادَ توم الخُروجَ صَباحَ أيّامِ الاثْنَيْنِ كاسِفَ البالِ حَزيناً ، وَ لَمْ
يَحْدُثْ أنْ أحَسّ بِالسّعادَةِ في أيّ يَوْمِ اثْنَيْنِ ؛ وَذَلِكَ لأنّهُ يَبْدأ بِأسْبوع
جَديدٍ يَقْضيهِ في المَدْرَسَةِ . وَاسْتَلْقى عَلى فِراشِهِ وَراحَ يُفكّرُ في خُطّةٍ
حَديدَةٍ ، وَ تَمَنّى لَوْ كانَ مَريضاً ، فَالأطْفالُ المَرْضى يَمْكُثونَ في
بُيوتِهِمْ ، وَلا يَذْهَبونَ إلى المَدْرَسَةِ . وَ فَحَصَ توم نَفْسَهُ لِيَرى إنْ كانَ
يَشْكو مِنْ شَيْءٍ : فَمَعِدَتُهُ في حالَةٍ طَيّبَةٍ ، وَ لَكِنّه اكْتَشَفَ سِنّاً غَيْرَ
ثابِتَةٍ في فَمِهِ ؛ فَهَذا إذاً فَألٌ حَسَنٌ ، وَلَكِنّهُ تَذَكّرَ أنّ خالَتَهُ اعْتادَتْ
أنْ تَخْلَعَ أيّةَ سِنٍّ مُقَلْقَلَةٍ . وَ لَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ لأنّهُ يُسَبّبُ أَلَماً شَديداً .

وَ فَجْأةً تَذَكّرَ توم كَلِماتٍ قالَها طَبيبٌ عَنْ إصْبَعٍ مُلْتَهِبَةٍ نَتيجَةً
تَلَوُّثِها بِبَعْضِ الأوْساخِ ، وَ بَدَتْ على وَجْهِ الطّبيبِ نَظْرَةٌ جادّةٌ
صارِمَةٌ . فَرَفَعَ توم قَدَمَهُ إلى أعْلى ، وَ نَظَرَ بِإمْعانٍ في أصابِعِ قَدَمِهِ

لعلَّهُ يَجِدُ بَيْنَ أصابِعِهِ إصْبَعاً مُلْتَهِبَةً ، وَعَلَيْهِ بَدْأً يَئِنُّ وَ يَتَأَوَّهُ .

وَ عَلا تَأَوُّهُ توم ، وَ لَكِنَّ سِيدْ لَمْ يَسْتَيْقِظْ ، وَعادَ توم يَئِنُّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَ مَعَ ذَلِكَ ظَلَّ سِيدْ مُسْتَغْرِقاً في نَوْمِهِ . ثُمَّ صَرَخَ توم بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مُنادِيًا : « سِيدْ ! سِيدْ !» وَ هَزَّهُ فَاسْتَيْقَظَ سِيدْ ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إلى توم . وَفي الحالِ تَأَوَّهَ توم مَرَّةً أُخْرى .

صَرَخَ سِيدْ : « توم ! توم ! ما الأَمْرُ ؟ ماذا حَدَثَ ؟» ثُمَّ هَزَّ توم بِعُنْفٍ .

صاحَ توم بِدَوْرِهِ : « لا تَهُزَّني عَلى هَذا النَّحْوِ .» ثُمَّ عادَ إلى تَأَوُّهِهِ .

« لَكِنْ ما الأَمْرُ ، يا توم ؟ لا بُدَّ أَنْ أُنادِيَ خالَتي .»

« لا .. لا تُنادِها .. لا يُهِمُّ .. رُبَّما أَتَحَسَّنُ بَعْدَ قَليلٍ .»

« لَكِنْ لا بُدَّ أَنْ أُنادِيَها .. وَ لا تَتَأَوَّهْ عَلى هَذا النَّحْوِ ، يا توم .. إنَّهُ شيءٌ مُرِيعٌ . كَمْ مَضى مِنَ الوَقْتِ وَأَنْتَ عَلى هَذِهِ الحالِ ؟»

« مَكَثْتُ هكذا ساعاتٍ وَساعاتٍ يا سِيدْ . إنَّني أَغْفِرُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ . أَغْفِرُ لَكَ تَحْطِيمَ إناءِ السُّكَّرِ ، يا سِيدْ ، عِنْدَما أَموتُ ...»

قالَ سِيدْ : « توم ! أَتَموتُ الآنَ ؟»

« إنَّني أَعْفو عَنْ كُلِّ إنْسانٍ ، يا سِيدْ . إنَّني أَعْفو عَنْ خالَتي

ضَرْبَها إيَّايَ . ظَنَّتْ أَنَّني حَطَّمْتُ إناءَ السُّكَّرِ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الحَقيقَةَ شَيْءٌ آخَرُ ، يا سِيدْ . أَرْجو أَنْ تُعْطِيَ الفَتاةَ الجَديدَةَ قِطَّتي وَقُلْ لَها ...»

لَكِنَّ سِيدْ تَناوَلَ مَلابِسَهُ وَ خَرَجَ مِنَ الغُرْفَةِ ، وَ هَبَطَ الدَّرَجَ ، وَنادى : « خالَتي ! خالَتي ! توم يُشْرِفُ عَلى المَوْتِ .»

قالَتْ : « المَوْتُ ؟»

« نَعَمْ ، يا خالَتي . لا تَنْتَظِري ! أَسْرِعي !»

« هُراءٌ ! لا أُصَدِّقُ دلِكَ !» وَلَكِنَّها أَسْرَعَتْ تَرْتَقي الدَّرَجَ ، وَتَبِعَها سِيدْ وَماري . وَكانَ وَجْهُها شاحِباً وَشَفَتاها تَرْتَعِشانِ . وَعِنْدَما وَصَلَتْ إلى فِراشِ توم سَأَلَتْهُ : « ما الأَمْرُ ، يا توم ؟»

« آه ، يا خالَتي بوللي !»

« ماذا بِكَ ، يا بُنَيَّ ؟»

« آه ، يا خالَتي . إنَّ إصْبَعَ قَدَمي تُؤْلِمُني ، فَقَدْ تَسَمَّمَتْ .»

جَلَسَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ عَلى مَقْعَدٍ ، وَراحَتْ تَضْحَكُ بِصَوْتٍ عالٍ ، ثُمَّ بَكَتْ قَليلاً ، وَ بَعْدَ ذَلِكَ شَعَرَتْ بِتَحَسُّنٍ . وَ وَقَفَتْ وَقالَتْ بِلَهْجَةِ آمِرَةٍ : « كُفَّ عَنْ هذا الكَلامِ الفارِغِ ، وَ انْهَضْ

فَوْراً مِنْ فِراشِكَ .»

وَ تَوَقَّفَتِ التَّأَوُّهاتُ عَلى الفَوْرِ ، وَ قالَ الصَّبِيُّ : « كانَ الأَلَمُ شَديداً ، يا خالَتي ، لِدَرَجَةِ أَنَّني نَسيتُ سِنّي الَّتي تُؤلِمُني أَيضاً .»

« سِنُّكَ ! مَاذا دَهى سِنَّكَ ؟»

« إِحْدى أَسْناني مُتَقَلْقِلَةٌ وَتُسَبِّبُ لي أَلَماً شَديداً .»

« إِيّاكَ أَنْ تُعاوِدَ هَذا التَّأَوُّهَ ، يا وَلَدي . افْتَحْ فَمَكَ وَدَعْني أَرى . نَعَم ، السِّنُّ بِكُلِّ تَأكيدٍ غَيْرُ ثابِتَةٍ ، وَلَكِنَّها لَنْ تَقْتُلَكَ . ماري ، أَحْضِري قِطْعَةَ خَيْطٍ مِنَ الحَريرِ وَقِطْعَةَ فَحْمٍ مِنَ النّارِ .»

قالَ : « أَرْجوكِ لا تَخْلَعيها . إِنَّها لا تُؤلِمُني الآنَ ، يا خالَتي . لا أُريدُ أَنْ أَبْقى في البَيْتِ . أُريدُ الذَّهابَ إِلى المَدْرَسَةِ .»

« أَ حَقّاً ما تَقولُ ؟ كُلُّ هذِهِ المَتاعِبِ بِسَبَبِ المَدْرَسَةِ ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَنْتَ تُريدُ الذَّهابَ إِلى النَّهْرِ لِصَيْدِ السَّمَكِ . ما قَوْلُكَ ؟ آهِ ، يا توم ! يا عَزيزي توم ، إِنَّني أُحِبُّكَ وَ لَكِنَّكَ تُريدُ أَنْ تُحَطِّمَ قَلْبي !»

أَتَتْ ماري بِالخَيْطِ الحَريرِيِّ وَ قِطْعَةِ الفَحْمِ المُشْتَعِلَةِ ، فَرَبَطَتِ السَّيِّدَةُ العَجوزُ طَرَفَ الخَيْطِ الحَريرِيِّ بِسِنِّ توم ، ثُمَّ رَبَطَتِ الطَّرَفَ

الآخَرَ بِجانِبِ الفِراشِ .

وَفَجْأَةً دَفَعَتْ بِقِطْعَةِ الفَحْمِ المُشْتَعِلَةِ نَحْوَ وَجْهِ توم ، فَتَراجَعَ إِلى الوَراءِ بِسُرْعَةٍ ، وَ عَلى الأَثَرِ انْخَلَعَتِ السِّنُّ مِنْ مَوْضِعِها .

ولَقِيَ توم في طَريقِهِ إِلى المَدْرَسَةِ عَدَداً مِنَ الأَوْلادِ ، وَأَراهُمُ المَكانَ الخالِيَ في فَمِهِ ، وَظَنّوا أَنَّهُ زَميلٌ لَطيفٌ ، ثُمَّ قابَلَ هاكِلْبري فِن . وَكانَتْ جَميعُ الأُمَّهاتِ في المَدينَةِ يَكْرَهْنَ هاكِلْبري فِن لِسوءِ طَبْعِهِ وَامْتِناعِهِ عَنْ أَداءِ أَيِّ عَمَلٍ . وَمَنَعَتِ الخالَةُ بوللي توم مِنْ أَنْ يَلْعَبَ مَعَهُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَلْعَبُ مَعَه كُلَّما اسْتَطاعَ ذَلِكَ .

وَكانَتْ مَلابِسُ هاكِلْبري رَثَّةً دائِماً وَ قَذِرَةً . وَعِنْدَما كانَ النّاسُ يَتَخَلَّصونَ مِنْ مَلابِسِهِم البالِيَةِ ، كانَ هاكِلْبري يَرْتَديها . وَلَمْ يَذْهَبْ قَطُّ إِلى المَدْرَسَةِ ، وَ كانَ يَنامُ عَلى السَّلالِمِ لأَنَّه لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْزِلٌ يُؤْويهِ ، وَ لَكِنَّهُ أَحَبَّ هَذا النَّوْعَ مِنَ الحَياةِ . وَكانَ يَتَشاجَرُ حينَما يَحْلو لَهُ ذَلِكَ . وَلَمْ يَذْهَبْ مَرَّةً إِلى فِراشٍ يَنامُ عَلَيْهِ ، وَكانَ يَسْتَطيعُ أَنْ يَسْهَرَ إِلى ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَلَمْ يَسْتَحِمَّ قَطُّ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَعْجَبَ بِهِ كُلُّ أَطْفالِ المِنْطَقَةِ ، وَأَرادوا أَنْ يَكونوا مِثْلَهُ .

ناداهُ توم : « أَهلاً ، يا هاك !»

« أَهلاً !»

سَأَلَهُ توم : « ما هَذا الَّذي مَعَكَ ؟»

« قِطَّةٌ مَيِّتَةٌ أُريدُ أَنْ آخُذَها مَعي اللَّيْلَةَ . سَيَأْتونَ اللَّيْلَةَ مِنْ أَجْلِ هورس ويليامز ؛ فَهُمْ يُريدون الاسْتِيلاءَ عَلى جُثَّتِهِ . وَسَأَذْهَبُ إِلى المدافِنِ لأُراقِبَ ما يَجْري هُناكَ . لَقَدْ دَفَنوا الرَّجُلَ العَجوزَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَ اللُّصوصُ سَيَسْرِقونَ جُثَّتَهُ اللَّيْلَةَ .»

قالَ توم : « دَعْني أَذْهَبْ مَعَكَ إِلى المدافِنِ ، يا هاك .»

« يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ إِذا لَمْ تَكُنْ خائِفاً .»

قالَ توم : « بِالطَّبْعِ أَنا لَسْتُ بِخائِفٍ .»

عِنْدَما وَصَلَ توم إِلى المَدْرَسَةِ الصَّغيرةِ أَسْرَعَ في سَيْرِهِ . وَانْتَبَهَ النّاظِرُ عِنْدما سَمِعَ صَوْتَ توم .

ناداهُ السَّيِّدُ دُوبِنْز النّاظِرُ : « توماس سوير !»

رَدَّ توم : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي .»

« تَعالَ إِلى هُنا ! لِماذا تَأَخَّرْتَ مَرَّةً أُخْرى ؟»

كادَ توم أَنْ يَكْذِبَ ، لَكِنَّه رأى شَعْرًا جميلاً أَصْفَرَ اللَّوْنِ يَنْسَدِلُ عَلى ظَهْرِ فَتاةٍ ، و لاحَظَ أَيْضاً وُجودَ مَكانٍ خالٍ بِجِوارِها . وكان المَكانُ الوَحيدَ الخالِيَ في الحُجْرَةِ ، فأجابَ توم عَنْ سُؤالِ النّاظِرِ

بِشَجاعَةٍ : « تَوَقَّفْتُ لأَتَحَدَّثَ إِلى هاكِلْبِري فِنْ .»

وَ تَمَلَّكَتِ الدَّهْشَةُ السَّيِّدَ دُوبِنْز حَتّى كادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ عَنِ النَّبْضِ ، وَ نَظَرَ إِلى توم نَظْرَةً غَريبَةً جِدًّا . وَاعْتَقَدَ الأَوْلادُ الآخَرونَ أَنَّ توم فَقَدَ إِحْساسَهُ .

تَكَلَّمَ السَّيِّدُ دُوبِنْز مَرَّةً أُخْرى فَقالَ : « هَلْ سَمِعْتَكَ جَيِّدًا ، يا توماس سوير ؟ أَعِدْ ما قُلْتَهُ .»

قالَ توم بِوُضوحٍ تامٍّ : « تَوَقَّفْتُ لأَتَحَدَّثَ إِلى هاكِلْبِري فِنْ .»

قالَ النّاظِرُ : « اخْلَعْ مِعْطَفَكَ .» وَتَناوَلَ عَصاهُ وَ تَحَرَّكَتْ ذِراعُهُ إِلى أَعْلى ثُمَّ إِلى أَسْفَلُ وَانْهالَ ضَرْبًا عَلى توم بِقُوَّةٍ . وَ تَحَمَّلَ توم الضَّرْبَ في صَمْتٍ ، وَ لَمْ يَتَأَوَّهْ أَلَبَّتَةَ . وَعِنْدَما كَلَّتْ ذِراعُ النّاظِرِ قالَ بِقَسْوَةٍ : « وَالآنَ اذْهَبْ وَ اجْلِسْ مَعَ البَناتِ !»

وَانْفَجَرَتِ الضَّحِكاتُ في الحُجْرَةِ ، وَسارَ توم إِلى جانِبِ البَناتِ مُتَظاهِرًا بِالحُزْنِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَزينًا ؛ لأَنَّهُ أَرادَ أَنْ يَجْلِسَ بِالقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الفَتاةِ الجَميلَةِ . وَ عِنْدَما جَلَسَ ، تَحَرَّكَتِ الفتاةُ مُبْتَعِدَةً ، وَسَمِعَ توم هَمَساتٍ مِنَ الفَتَياتِ الأُخْرَياتِ في الفَصْلِ . وَلَكِنَّهُ جَلَسَ وانْتَظَرَ وَسَرْعانَ ما عادَ الهُدُوءُ إِلى ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .

وَ اخْتَلَسَ توم النَّظَرَ إِلى الفَتاةِ . وَ لاحَظَتْ هِيَ ذَلِكَ ، فَأَدارَتْ

رأسَها بعيداً لِمُدَّةِ دَقيقَةٍ ، وَلَكِنْ عِنْدَما أدارَتْ رأسَها مَرَّةً أُخْرى كانَتْ تُفّاحَةً قَدْ وُضِعَتْ فَوْقَ المَكْتَبِ ، فأزاحَتْها بَعيداً . لَكِنَّ توم أعادَها بِرِفْقٍ ، فَأزاحَتْها بَعيداً مَرَّةً أُخْرى وَلَكِنْ بِغَضَبٍ أَقَلَّ مِنَ المَرَّةِ السّابِقَةِ ، فَوَضَعَ توم التُّفّاحَةَ أمامَها مَرَّةً أُخْرى فَتَرَكَتْها مَكانَها .

وَبَدَأَ توم يَرْسُمُ مَنْزِلاً ، ولكِنَّ الفَتاةَ أشاحَتْ بِنَظَرِها عَمّا يَرْسُمُهُ . وَرَسَمَ مَجْموعَةً مِنَ المَنازِلِ ، وَحاوَلَتْ هِيَ أَنْ تَرى الصّورَةَ وَهَمَسَتْ : « دَعْني أراها .» و أراها توم الصّورَةَ ؛ فَقالَتْ : « إنَّها جَميلَةٌ ! ارْسُمْ رَجُلاً .»

وَرَسَمَ توم الفَنّانُ رَجُلاً ضَخْماً في حَديقَةِ المَنْزِلِ ، فَهَمَسَتْ : « إنَّهُ رَجُلٌ جَميلٌ ! وَالآنَ ارْسُمْني .»

ورسم فَتاةً بدينةً ذاتَ ذِراعَيْنِ نَحيفَتَيْنِ ، فَقالَتْ : « إنَّهُ رَسْمٌ جَميلٌ . إنَّني لا أجيدُ الرَّسْمَ .»

هَمَسَ توم : « سَأُعَلِّمُكِ !»

« أحقًّا ؟ مَتى ؟»

« بَعْدَ انْتِهاءِ الدِّراسَةِ في الفَتْرَةِ الصَّباحِيَّةِ : هَلْ تَعودينَ إلى البَيْتِ لِتَناوُلِ طَعامِ الغَداءِ ؟»

« سَأَمْكُثُ إذا مَكَثْتَ أَنْتَ .»

« حَسَنٌ ، سَأَفْعَلُ . ما اسْمُكِ ؟»

« بِكي ثاتْشَر . وَ ما اسْمُكَ .. آه ، أَعْرِفُ . إنَّهُ توماس سويَرْ .»

« هذا اسْمي عِنْدَما يَضْرِبونَني . نادِني توم . فَأَنا توم عِنْدَما أَكونُ لَطيفاً .»

وَ بَدَأَ توم يَكْتُبُ شَيْئاً ، وَأرادَتْ هِيَ أَنْ ترى ما يَكْتُبُ .

قالَ : « إنَّهُ لا شَيْءَ .»

« أَرْجوكَ دَعْني أراهُ .»

« لا ، سَتَقولينَ لِلآخَرينَ .»

« لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . في الحَقيقَةِ لَنْ أقولَ لأيِّ شَخْصٍ . وَالآنَ دَعْني أرى ما كَتَبْتَ .»

وَ وَضَعَتِ الفَتاةُ يَدَها الصَّغيرَةَ فَوْقَ يَدِهِ وَ حاوَلَتْ أَنْ تَرى . وَتَظاهَرَ توم بِمَنْعِها ، وَلَكِنَّهُ أزاحَ يَدَهُ بِبُطْءٍ فرأتِ عِبارَةَ : « أنا أُحِبُّكِ .»

وَضَرَبَتْهُ عَلى يَدِهِ قائِلَةً : « يا لَكَ مِنْ وَلَدٍ سَيِّءٍ !»

وَ لَكِنِ ارْتَسَمَتْ على وَجْهِها نَظْرَةٌ سَعيدَةٌ .

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ شَعَرَ توم بِيَدٍ عَلى أُذُنِهِ ، وَرَفَعَهُ النَّاظِرُ مِنْ أُذُنِهِ وَقادَهُ إِلى مَكانِهِ عَبْرَ الحُجْرَةِ . وَضَحِكَ الأَوْلادُ وَ البَنَاتُ ، وَلَكِنَّ النَّاظِرَ لَمْ يَفُهْ بِأَيَّةِ كَلِمَةٍ . وَ كانَتْ أُذُنُ توم تُؤلِمُهُ ، وَلَكِنَّ قَلْبَهُ كانَ فَرِحًا . وَحاوَلَ أَنْ يَسْتَذْكِرَ دَرْسَهُ ، وَلَكِنَّه كانَ صَعْبًا .

الفصل الخامس

مشاجرة

لَقِيَ توم بِكِي ثاتْشَر بَعْدَ انْصرافِهِ مِنَ المَدْرَسَةِ وَقالَ لَها : « تَظاهَري بِأَنَّكِ ذاهِبَةٌ إِلى مَنْزِلِكِ ، وَلَكِن ارْجِعي عِنْدَما تَصِلينَ إِلى ناصِيَةِ الشّارِعِ حَيْثُ سَأُقابِلُكِ هُناكَ .»

وَافَقَتْ بِكِي وَانْصَرَفَتْ مَعَ بَعْضِ الفَتَياتِ عَلى حينَ انْطَلَقَ توم مَعَ عَدَدٍ مِنَ الفِتيانِ . وَلَكِنْ سَرْعانَ ما عاد هُوَ وَبِكِي إِلى المَدْرَسَةِ . وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ شَخْصٌ آخَرُ غَيْرُهُما ، وَجَلَسا معًا . وأَعْطى توم قَلَمَ الرَّصاصِ إِلى بِكِي وَ وَجَّهَ يَدَها وَهِيَ تَرْسُمُ بَيْتًا ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ الاثْنانِ يَتَكَلَّمانِ .

سَأَلَها توم : « هَلْ وَعَدْتِ أَيَّ شَخْصٍ بِالزَّواجِ ، يا بِكِي ؟»

« لا ، مُطْلَقًا .»

« هَلْ تُريدينَ أنْ تَتَزَوَّجي ؟»

قالَتْ : « لا أعْرِفُ . ماذا يَحْدُثُ إذا وَعَدْتُ ؟»

« لا شَيءَ أكْثَرَ مِنْ أنْ تَعِدي .»

« هَلْ يَفْعَلُ الجَميعُ ذَلِكَ ؟»

« نَعَمْ ، كُلُّ واحِدٍ يُحِبُّ شَخْصاً يَعِدُهُ بِالزَّواجِ . لَقَدْ كَتَبْتُ لَكِ عِبارَةً ، فَهَلْ تَذْكُرينَها ؟ لَقَدْ رَأَيْتِها .»

لَمْ تُجِبْهُ بِكي .

قالَ توم : « هَلْ أهْمِسُ بِها لَكِ ؟» فَلَمْ تَرْفُضْ بِكِي ، فَهَمَسَ توم بِها إلَيْها ثُمَّ قالَ : « وَالآنَ قوليها .»

قالَتْ بِكِي : « أدِرْ وَجْهَكَ بَعيداً حتّى لا تَراني .»

وَ أدارَ توم وَجْهَه بَعيداً فَهَمَسَتْ بِبُطءٍ : « أنا – أحِبُّـ كَ .» ثُمَّ قَفَزَتْ وَجَرَتْ حَوْلَ الحُجْرَةِ ، وَجرى توم وَراءَها وأمْسَكَ بِها ، فَوَعَدَتْهُ بِالزَّواجِ .

قالَ : « والآنَ هذا هُوَ كُلُّ شَيء ، ولكِن الآنَ لا يَجِبُ أنْ تُحِبّي أيَّ شَخْصٍ غَيْري . وَلا بُدَّ أنْ تَسيري مَعي وَنَحْنُ في طَريقِنا إلى المَدْرَسَةِ . ولا يَجِبُ أنْ تَتَكَلَّمي مُطْلَقاً مَعَ الأوْلادِ الآخَرينَ .»

قالَتْ : « هذا جَميلٌ . لَمْ أسْمَعْ بِهذا مِنْ قَبْلُ مُطْلَقاً .»

قالَ : « نَعَمْ ، هَذا جَميلٌ . إنَّ آمي لورانس وَأنا ...»

وعِنْدَما رأى عَيْنَيْها اتَّسَعَتا فَهِمَ الخَطَأَ الَّذي وَقَعَ فِيهِ .

قالَتْ : « توم ! هُناكَ فَتاةٌ أخْرى . إنَّني لَسْتُ الفَتاةَ الوَحيدَةَ ...»

وَ بَدَأَتْ تَبْكي .

قالَ توم : « لا تَبْكي ؛ فَأنا لا أحِبُّ آمي لورانس الآنَ !»

« أحَقًّا ما تَقولُ ، يا توم ؟» ثُمَّ وَضَعَتْ وَجْهَها قُبالَةَ الحائِطِ ، وَبَكَتْ مَرَّةً أخْرى .

وَ حاوَلَ توم أنْ يَضَعَ ذِراعَهُ حَوْلَها ، وَلَكِنَّها دَفَعَتْه بَعيداً ، فَغادَرَ حُجْرَةَ الفَصْلِ وَ وَقَفَ في الخارِجِ وَانْتَظَرَ ، وَكانَ يَنْظُرُ نَحْوَ البابِ أحْياناً ، وَلَكِنَّها لَمْ تَخْرُجْ مِنَ الحُجْرَةِ .

وَبَعْدَ لَحَظاتٍ دَخَلَ توم إلى الحُجْرَةِ ، وكانَتْ لا تَزالُ تَبْكي بالقُرْبِ مِنَ الحائِطِ .

ناداها : « بِكِي !»

فَلَمْ تُجِبْهُ .

وَكانَ في جَيْبِ مِعْطَفِه أكْرَةُ بابٍ مَعْدِنِيَّةٌ يَعْتَبِرُها كَنْزَهُ الثَّمينَ ،

فَأَخْرَجَها مِنْ حَيْهِ وَقَدَّمَها إِلَيْها ، وَلَكِنَّها أَزاحَتْ يَدَهُ فَسَقَطَتْ على الأَرْض . وَترك توم الأَكْرَةَ على الأَرْضِ وغادَرَ المَنْى ، وَلَمْ يَعُدْ إِلى المَدْرَسَةِ في ذلِكَ اليَوْمِ .

وَرأَتْ بِكي الأَكْرَةَ مُلْقاةً عَلى الأَرْضِ وَ وَقَفَتْ تَنْتَظِرُ ، وَلَكِنَّ توم لَمْ يَعُدْ . فَجَرَتْ نَحْوَ البابِ ، وَلَكِنَّها لَمْ تَرَهُ في أَيِّ مَكانٍ . لَقَدْ ذَهَبَ !

وَنادَتْ عَلَيْهِ : « توم ! توم ! عُدْ ، يا توم ! »

لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ جَوابٌ ، فَعادَتْ تَبْكي مِنْ جَديدٍ . وَسَرْعانَ ما عادَ الأَوْلادَ إِلى المَدْرَسَةِ ، وَكانَ عَلَيْها أَنْ تَهْدَأَ . وَكانَتْ فَتْرَةُ بَعْدَ الظُّهْرِ طَويلَةً وَحَزينَةً .

الفصل السادس

في المقابِر

سارَ توم لِمسافَةٍ طَويلَةٍ في الحُقول ثُمَّ دَخَلَ الغابَةَ ، وَهُناكَ جَلَسَ لِيُفَكِّرَ في الحَياةِ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ هادِئًا تَماماً ، لكِنَّهُ شَعَرَ بِحُزْنٍ . فَما الخَطَأُ الَّذي اقْتَرَفَهُ ؟ فَالفَتاةُ بِكُلِّ تَأْكيدٍ قَدْ تَصَرَّفَتْ بِطَريقَةٍ سَيِّئَةٍ نَحْوَهُ . وَ وَدَّ أَنْ يَموتَ ، وَلَكِنْ لِفَتْرَةٍ قَصيرَةٍ فَقَطْ . وَتَساءَلَ : « بِماذا سَتَشْعُرُ إِذا ذَهَبْتُ أَنا بَعيداً ؟ وَإِلى أَيِّ مَكانٍ يُمْكِنُ أَنْ أَذْهَبَ ؟ »

فَإِلى أَيِّ مَكانٍ يُمْكِنُ أَنْ يَذْهَبَ ؟ يَسْتَطيعُ أَنْ يُصْبِحَ جُنْدِيًّا ، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُهُ أَنْ يَذْهَبَ بَعيداً إِلى بِلادٍ أُخرى . وَيُمْكِنُهُ أَيْضاً أَنْ يعودَ بَعْدَ سَنَواتٍ طَويلَةٍ ، وَبَعْدَ خَوْضِ مَعارِكَ كَثيرةٍ . لا ! ثَمَّةَ فِكْرَةٌ أَفْضَلُ مِنْ هَذِهِ . يُمْكِنُه الانْضِمامُ إِلى الهُنودِ الحُمْرِ لِصَيْدِ الحَيَواناتِ البَرِّيَّةِ . وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرْحَلَ إِلى الجِبالِ الشّاهِقَةِ البَعيدَةِ ، وَيُمْكِنُه أَنْ

يَطْلِيَ وَجْهَهُ بالأَصْباغِ وَيَضَعَ ريشًا على رَأْسِهِ ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يُصْبِحَ رَئيسًا عَظيمًا لِلْهُنودِ الحُمْرِ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعودَ وَيَدْخُلَ المَدْرَسَةَ في صَباحِ أَحَدِ الأَيّامِ ، ويفاجئ المُدَرِّسَ وَالتَّلاميذَ مَعًا . وَلَكِنْ لا ، فَثَمَّةَ ما هو أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ . يُمْكِنُهُ الاسْتيلاءُ عَلى سَفينَةٍ يُهاجِمُ بِها السُّفُنَ الأُخْرى في البَحْرِ . وكانَ قَدْ سَمِعَ عَنِ القَراصِنَةِ وَهُوَ نَفْسُهُ يُمْكِنُ أَنْ يكونَ قُرْصانًا . نَعَمْ ، فَهَذا هُوَ أَفْضَلُ الأَشْياءِ كُلِّها . وَراحَ يَقولُ لِنَفْسِهِ : « سَأَكونُ قُرْصانًا مَشْهورًا ، وَعِنْدَما تَعودُ سَفينَتي إِلى بَلَدي سَيَرى النّاسُ العَلَمَ الأَسْوَدَ وَسَوْفَ يَهْمِسون بِاسْمي . نَعَمْ ، سَأَكونُ قُرْصانًا وَسَأَجوبُ البِحارَ ، وَسَأَغيرُ على السُّفُنِ وَسَأُصْبِحُ غَنِيًّا وَمَشْهورًا .»

وَلَكِنْ في التّاسِعَةِ وَالنِّصْفِ مَساءً ذَهَبَ توم إِلى فِراشِهِ . لَقَدْ عادَ إِلى بَيْتِ خالَتِهِ ، وَكان سيدْ مُسْتَغْرِقًا في النَّوْمِ وَلَكِنَّ توم ظَلَّ يَقِظًا . سَمِعَ السّاعَةَ تَدُقُّ عَشْرَ دَقّاتٍ وَلَكِنَّه انْتَظَرَ . فَكُلُّ شَيْءٍ هادِئٌ مِنْ حَولِهِ ، وَلَكِنْ سَمِعَ بَعْضَ أَصْواتٍ خافِتَةٍ . سَمِعَ نُباحَ كَلْبٍ مِنْ بَعيدٍ ، ثُمَّ كادَ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ . وَلَكِنْ بَعْدَ الحادِيَةَ عَشْرَةَ مساءً بِقَليلٍ ، سَمِعَ مُواءَ قِطَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ كانَ يَحْلُمُ عِنْدَما سَمِعَ مُواءَ القِطَّةِ ، وكان جُزْءًا مِنَ الحُلْمِ . واسْتَيْقَظَ توم عِنْدَما فَتَحَ شَخْصٌ نافِذَتَهُ وَأَلقى مِنْها زُجاجَةً فارِغَةً .

وَاسْتَيْقَظَ توم مِنْ نَوْمِهِ تَمامًا . وَكانَ مُواءُ القِطَّةِ هُوَ الإِشارَةَ الَّتي حدَّدَها لَهُ هاكِلْبِري . وَفي دَقيقَةٍ واحِدَةٍ ارْتَدى توم مَلابِسَهُ وَخَرَجَ مِنَ النّافِذَةِ ، وَسارَ عَلى طولِ السَّطْحِ وَقَلَّدَ مُواءَ القِطَّةِ لِبَعْضِ الوَقْتِ، ثُمَّ قَفَزَ إِلى السَّطْحِ السُّفْلِيِّ وَمِنْهُ إِلى الأَرْضِ .

وَكانَ هاكِلْبِري فِنْ في انْتِظارِهِ ، وَسارَ الاثْنانِ في ظَلامِ اللَّيْلِ . وَبَعْدَ نِصْفِ ساعَةٍ وَصَلا إِلى المَقابِرِ ، وَكانَتْ قَديمَةً وَتَقَعُ فَوْقَ تَلٍّ على بُعْدِ كيلومِتْرَيْنِ مِنَ القَرْيَةِ . وَكانَ يُحيطُ بِها سُورٌ قَديمٌ وَيَنْمو العُشْبُ في كُلِّ مَكانٍ عَلى أَرْضِها . وَكانَتْ بَعْضُ قِطَعِ الحَشَبِ القَديمِ تُسْتَخْدَمُ كَشَواهِدِ قُبورٍ ، لَكِنَّ أُناسًا قَليلينَ كانوا يَسْتَطيعونَ قِراءَةَ الأَسْماءِ المَكْتوبَةِ عَلَيْها .

وَهَبَّتْ ريحٌ خَفيفَةٌ فَأَحْدَثَتْ أَصْواتًا خافِتَةً بَيْنَ أَغْصانِ الأَشْجارِ . وَشَعَرَ توم بِالخَوْفِ مِنَ الأَشْباحِ ، وَلَمْ تَرُقْهُ الرّيحُ ، فقالَ لِهاكِلْبِري : « رُبَّما كانَتِ الأَشْباحُ تَحْتَجُّ بِسَبَبِ وُجودِنا هُنا .» وَبَعْدَ قَليلٍ كانَ الاثْنانِ قَدِ اقْتَرَبا مِنْ أَحَدِ القُبورِ ، فوقفا يَنْتَظِرانِ تَحْتَ ثَلاثَةِ أَشْجارٍ ضَخْمَةٍ .

سَأَلَ توم : « هَلِ المَوْتى راضونَ عَنْ وُجودِنا هُنا ؟ تُرى هَلْ يُريدونَنا بِالقُرْبِ مِنْ قُبورِهِمِ ، يا هاك ؟»

أجابَه هاكِلْبِري : « لا أعْرِفُ ، فأنا لا أحِبُّ كثيراً أنْ أكونَ هُنا ؛ وأنْتَ ؟»

« لا أحِبُّ أنْ أكونَ هُنا . وَلكِنْ هَلْ تَظُنُّ أنَّ هورس ويلْيامْز يَسْمَعُنا الآنَ ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري : « بِالطَّبْعِ يَسْتطيعُ أنْ يَسْمَعَنا ، وَمِنَ المؤكَّدِ أنَّ رُوحَهُ تَسْتَطيعُ سَماعَنا .»

تَوَقَّفَ الحِوارُ ، ثُمَّ لَمَسَ توم ذِراعَ هاكِلْبِري ، الَّذي سَأَلَهُ : « ما الأمْرُ ، يا توم ؟» وَفَجْأةً دَقَّ قَلْباهُما بِسُرْعَةٍ وَقُوَّةٍ .

« أ لَمْ تَسْمَعْ ذَلِكَ الصَّوْتَ ؟ هَا هُو ذا يعودُ يُسمَعُ مَرَّةً أخْرى .»

« توم ! إنَّهُمْ قادِمونَ ! الأشْباحُ قادِمَةٌ ! ماذا سَنَفْعَلُ ؟»

رَدَّ توم : « لا أدْري ! هَلْ يَرَوْنَنا ؟»

بِالطَّبْعِ سَيَرَوْنَنا ؛ فَالأشْباحُ تَسْتَطيعُ أنْ تَرى في ظَلامِ اللَّيْلِ كالقِطَطِ .»

هَمَسَ توم . « رُبَّما لا يُلاحِظونَنا إذا لَمْ نَأتِ بِأيَّةِ حَرَكَةٍ .»

وَحَنَى الاثْنانِ رأسَيْهِما إلى أسْفَلُ ، وَتَمَسَّكا بِالهُدوءِ التَّامِّ .

لكِنَّهما سَمِعا بَعْضَ أصْواتٍ في نِهايَةِ المَقابِرِ .

قالَ توم بِهُدُوءٍ : « انْظُرْ ! ما هذا ؟»

« أشْباحَ ! إنَّها تَحْمِلُ مَعَها ناراً ! هذا مُرْعِبٌ ، يا توم !»

وتَحَرَّكَتْ بَعْضُ أشْكالٍ غَريبَةٍ نَحْوَ الوَلَدَيْنِ بَيْنَ القُبورِ . وَكانَتْ تَحْمِلُ مِصْباحاً قَديماً ، فَهَمَسَ هاكِلْبِري في أُذُنِ توم . « إنَّها أرْواحٌ شِرِّيرَةٌ بِكُلِّ تَأكيدٍ . ثَلاثَةٌ مِنْها ! لا بُدَّ أنْ نُصَلِّيَ ! توم ! هَلْ تَسْتَطيعُ أنْ تُصَلِّيَ ؟»

قالَ توم : « سَأحاوِلُ . وَلكِنَّها لَنْ تُؤْذِيَنا .»

وعندئذٍ قال هاكِلْبِري : « أنْصِتْ ! هَلْ تَسْمَعُ ؟ إنَّهُمْ بَشَرٌ ! وَهذا صَوْتُ ماف بُوتَرْ ، وَصاحِبُ الصَّوْتِ الآخَرِ هُوَ رِدْ جو .»

« نَعَمْ . إنَّكَ مُصيبٌ ؛ وَهَذا الرَّجُلُ أسْوَأُ مِنَ الرّوحِ الشِّرِّيرَةِ ؟»

وَ وَصَلَ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ إلى القَبْرِ ، وَكانوا عَلى بُعْدِ أمْتارٍ قَليلَةٍ . وَكانَتْ مَعَهُم عَرَبَةٌ صَغيرَةٌ وَبَعْضُ الحِبالِ .

قالَ صاحِبُ الصَّوْتِ الثّالِثِ : « ها هُوَ ذا ! ها هُوَ ذا القَبْرُ !» وَكَشَفَ ضَوْءُ المِصْباحِ عَنْ وَجْهِ الطَّبيبِ الشّابِّ رُوبِنْسون .

وَبَدَأ رَجُلانِ يَفْتَحانِ القَبْرَ عَلى حِينَ جَلَسَ الطَّبيبُ بِالقُرْبِ مِنْ

شجرةٍ يُراقِبُهُما ، ثُمَّ قالَ عِدَّةَ مَرّاتٍ : أَسْرِعا ! اعْمَلا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ !»

وأَخْرَجَ الرَّحّالانِ جُثَّةً ، وَ وَضَعاها عَلى العَرَبَةِ ثُمَّ التَفَتَ بُوتر ناحيةَ الطَّبيبِ وَقالَ : « إنَّ الجُثَّةَ جاهِزَةٌ الآنَ ، وَلَكِنَّنا نُريدُ خَمْسَةَ دولاراتٍ زِيادَةً ، فَإذا لَمْ تَدْفَعْ فَسَتَبقى الجُثَّةُ هُنا .»

قالَ رِد جو : « هَذا صَحيحٌ !»

أَجابَ الطَّبيبُ : « وَلَكِنّي دَفَعْتُ لَكُمْ فِعْلاً !»

قالَ رِدْ جو : « نَعَمْ ، بَلْ أَنْتَ فَعَلْتَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَمُنْذُ خَمْسِ سَواتٍ دَخَلْتُ مَطْبَخَ أَبيكَ ، وَلَمْ أَطْلُبْ دولاراتٍ بَلْ طَلَبْتُ طَعاماً ؛ فَطَرَدْتَني أَنْتَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ قَبَضَ عَلَيَّ أَبوكَ ، وَأَدْخَلَني السِّجْنَ . وَقالَ إِنَّني لِصٌّ . وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَنْسَ ذَلِكَ ؛ فَدِماءُ الهُنودِ الحُمْرِ تَجْري في عُروقي وَأَنا لَمْ أَنْسَ .»

وكانَ رِدْ جو وَاقِفاً أَمامَ الطَّبيبِ مُباشَرَةً عِنْدَما سَدَّدَ لَهُ الطَّبيبُ لَكْمَةً أَسْقَطَتْهُ عَلى الأَرْضِ ، فَصاحَ بوتر : « كُفَّ عَنْ ذَلِكَ ! لا تَضْرِبْ صَديقي !»

وَهَجَمَ بُوتَر على الطَّبيبِ ، وَدارَ بَيْنَهُما قِتالٌ عَنيفٌ . وَهَبَّ رِدْ جو واقِفاً مَرَّةً أُخْرى ، وَالتَقَطَ سِكّينَ بُوتَر مِنْ عَلى الأَرْضِ .

راقَبَ رِدْ جو القِتالَ عَنْ كَثَبٍ ، فَشاهَدَ الطَّبيبَ يَلْتَقِطُ لَوْحًا خَشَبِيًا مِنْ فَوْقِ قَمْرٍ ويليامز ، ويَضْرِبُ بِهِ بوتر الَّذي هَوى عَلى الأَرْضِ كَقِطْعَةِ حَجَرٍ .

وَرَأى رِدْ جو أَنَّ الفُرْصَةَ مُتاحَةٌ لَهُ ، فَانْقَضَّ على الطَّبيبِ ، وَأَغْمَدَ السِّكّينَ في صَدْرِهِ ، وَسَقَطَ الطَّبيبُ جُثَّةً هامِدَةً .

وَكانَ الوَلَدانِ يُراقِبانِ المَعْرَكَةَ في ضَوْءِ القَمَرِ وَلَكِنْ سُرْعانَ ما عَبَرَتْ سَحابَةٌ حَجَبَتْ ضَوْءَ القَمَرِ ، وَأَسْرَعَ توم وهاكِلْبِري بِالهَرَبِ .

وَعِنْدَما مَرَّتِ السَّحابَةُ ، نَظَرَ رِدْ جو إلى الجُثَّتَيْنِ ، وسَرَقَ نُقودَ الطَّبيبِ ، ثُمَّ وَضَعَ السِّكّينَ في يدِ بوتر اليُمنى ، وجَلَسَ يَنْتَظِرُ .

وَمَرَّتْ خَمْسُ دَقائِقَ ، ثُمَّ تَحَرَّكَ بوتر وَهُوَ يَئِنُّ وَيَتَوَجَّعُ ، وَأَخيرًا فَتَحَ عَيْنَيْهِ ؛ فَرَأى السِّكّينَ في يَدِهِ اليُمْنى ، فَأَلْقى بِها ثُمَّ نَهَضَ واقِفًا .

تَساءَلَ بُوتر بِصَوْتٍ خافِتٍ : « ماذا حَدَثَ ، يا جو ؟»

رَدَّ رِدْ جو : « إِنَّه شَيءٌ فَظيعٌ ، يا بُوتَر !»

سَأَلَهُ بُوتَر : « وَلِماذا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟»

صاحَ رِدْ جو : « أَنا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا .»

وارْتَعَشَ بُوتَر ، وامْتَقَعَ وَجْهُهُ ، وَنَظَرَ إلى جُثَّةِ الطَّبيبِ مَذْعورًا ، ثُمَّ قال : « لا أَتَذَكَّرُ شَيْئًا عن مَقْتَلِ الطَّبيبِ . لَقَدْ كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ دولاراتٍ زِيادَةً ، وَكُنّا قَدْ أَخْرَجْنا جُثَّةَ ويليامز مِنَ النَّعْشِ ، ثُمَّ دارَ قِتالٌ . وَلَكِنْ كَيْفَ حَدَثَ هَذا ؟ هَلْ فَعَلْتُ أَنا ذَلِكَ ؟ إِنَّهُ شَيْءٌ فَظيعٌ ! لَقَدْ كانَ شابًّا صَغيرًا ! آهٍ ، يا جو !»

قالَ حو : « كُنْتُما تَتَقاتَلانِ ، وَ ضَرَبَكَ الطَّبيبُ بِلَوْحٍ فَسَقَطْتَ عَلى الأَرْضِ ، ثُمَّ قَفَزْتَ مِنْ سَقْطَتِكَ وَبِيَدِكَ السِّكّينُ فَطَعَنْتَهُ بِها ، وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ ضَرَبَكَ هُوَ بِاللَّوْحِ الخَشَبِيِّ مَرَّةً أُخْرى ، وَسَقَطْتَ وَظَلِلْتَ هُناكَ كَرَجُلٍ مَيِّتٍ .»

قالَ بُوتَر بِحُزْنٍ : « لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ قَتَلْتُ أَحَدًا . لا تَقُلْ شَيْئًا لأَيِّ إِنْسانٍ ، يا جو . قُلْ إِنَّكَ لَنْ تَقولَ شَيْئًا . أَنْتَ تَعْلَمُ مِقْدارَ حُبّي لَكَ . لا تَقُلْ شَيْئًا لأَحَدٍ أَرْجوكَ .»

وَحَنا المِسْكينُ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ في اتِّجاهِ وَجْهِ حو الَّذي أَجابَهُ : « لَقَدْ كُنْتَ دائِمًا أَمينًا مَعي ، يا ماف بُوتَر . لَنْ أَقولَ شَيْئًا لأَيِّ إِنْسانٍ .»

رَدَّ عَلَيْهِ بُوتَر : « شُكْرًا ، يا جو ، شُكْرًا !» ثُمَّ أَخَذَ يَبْكي .

قال جو بِخُشونَةٍ : « كُفَّ عَنِ البُكاء ، وَاذْهَبِ الآنَ . اهْرُبْ مِنْ هُنا . سِرْ في هَذا الطَّريقِ ، وَأنا سَأسيرُ في الطَّريقِ المُقابِلِ . »

وَأسْرَعَ بُوتَر بِالفِرار تارِكاً السِّكّينَ عَلى الأعْشابِ .

الفصل السابع

توم قلبه يتحطم

حَرى الوَلَدان إلى القَرْيَةِ بِسُرْعَةٍ ، وَكانا حائِفَيْنِ مِنْ كُلِّ ظِلٍّ وَقَعَ نَظَرُهُما عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُما وَصَلا سالِمَيْنِ إلى مَبْنًى قَديمٍ في القَرْيَةِ ، وَكانا مُرْهَقَيْنِ لِلْغايَةِ ، وَأخَذا يَلْتَقِطانِ أنْفاسَهُما بِصُعوبَةٍ . وَجَلَسا عَلى الأرْضِ ، وَظَلّا صامِتَيْنِ لِوَقْتٍ طَويلٍ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ توم مُتَسائِلاً : « ما الَّذي سَيَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ ، يا هاك ؟ »

« إذا ماتَ الدكتور روبنسون فَسَيُشْنَقُ شَخْصٌ ما . إنَّني أعْرِفُ ذَلِكَ . »

سَألَ توم : « مَنِ الَّذي سَيَتَكَلَّمُ ؟ هَلْ نَحْكي نَحْنُ عمّا حَدَثَ ؟ »

« إذا قُلْنا فَسَوْفَ يَقْتُلُنا رِدْ جو أيْضاً ؟ »

« لَنْ يَقْتُلَنا إذا شُنِقَ .»

قالَ هاكِلبِري : « رُبَّما يَهْرُبُ دَعْ ماف بُوتَر يُبلِغُ عَن الجَريمَةِ ؛ فَلَنْ نَقولَ نَحْنُ شَيْئًا .»

« هذا صَحيحٌ ، لَنْ نَقولَ شَيْئًا . وَلا بُدَّ أَنْ يَعِدَ كُلٌّ مِنّا الآخَرَ .»

قالَ هاكِلبِري : « يُمْكِنُ أَنْ يَعِدَ كُلٌّ مِنّا الآخَرَ ، وَلَكِنْ ، هذا لَيْسَ كافيًا . لا بُدَّ أَنْ نَكْتُبَ الوَعْدَ وَنُوَقِّعَه بِالدَّمِ .»

وافَقَ توم ، وَكَتَبَ العِباراتِ التّالِيَةَ عَلى قِطْعَةٍ مِنَ الخَشَبِ :

سيلتزم هاكلبري فن وتوم سوير بالصمت حول هذا الأمر . ويتمنيان أن يموت من يقول منهما شيئا .

وَوَقَّعَ كُلٌّ مِنْهُما بِدَمِ إبْهامِهِ ، ثُمَّ قاما بِدَفْنِ قِطْعَةِ الخَشَبِ بِالقُرْبِ مِنْ جِدارٍ ، وَأَنْشَدا بَعْضَ الأَناشيدِ الحَزينَةِ فَوْقَ الخَشَبَةِ . وَلَمْ يَفْطِنا إلى شَخْصٍ كانَ واقِفًا في الطَّلامِ في النِّهايَةِ الأُخْرى لِلْمَبْنى .

وَسَمِعَ الاثْنانِ نُباحًا كَئيبًا ، فاعْتَبَراه شُؤْمًا ، وَقالَ توم : « إنَّ شَخْصًا ما في خَطَرٍ !» ثُمَّ سَمِعا صَوْتًا آخَرَ .

قالَ هاكِلبِري : « إنَّ هُناكَ شَخْصًا نائمًا .» وَسارا في اتِّجاهِ

الصَّوْتِ ، فَشاهَدا رَجُلاً على الأَرْضِ ، وَعِنْدَما نَظَرا إلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ رَأَيا وَجْهَ ماف بوتر ، وَ قَدْ وَقَفَ كَلْبٌ بِالقُرْبِ مِنْه ، وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ السَّماءِ ، وَراحَ يَعوي عُواءً حَزينًا .

قالَ الاثْنانِ معًا : « إنَّ بُوتَر في خَطَرٍ ، وَسَوْفَ يَموتُ بَعْدَ قَليلٍ.»

وَبَعْدَ ذَلِكَ افْتَرَقَ الوَلَدانِ ، وَعادَ توم إلى بَيْتِه عَنْ طَريقِ النّافِذَةِ . وَكانَ سِيدْ مُسْتَيْقِظًا ، وَلَكِنَّ توم لَمْ يَفْطِنْ إلى ذَلِكَ .

وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ توم في الصَّباحِ ، كانَ سِيدْ قَدْ غادَرَ المَنْزِلَ . وارْتَدى توم مَلابِسَهُ عَلى عَجَلٍ ، وَنَزَلَ إلى الدَّورِ السُّفْلِيِّ ، وَكانَتِ العائِلَةُ لا تَزالُ حَوْلَ مائِدَةِ الطَّعامِ ، وَلَكِنَّ أَفْرادَها كانُوا قَدِ انْتَهَوْا مِنْ فُطورِهِمْ . وَلَمْ يُوَجِّهْ أَيٌّ وَاحِدٍ كَلِمَةً أَو لَوْمًا لِتوم ، وَلَمْ يَقُلْ أَيٌّ مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ عُيونَهُم كانَتْ بَعيدَةً عَنْهُ . وَسادَ هُناكَ صَمْتٌ رَهيبٌ .

وَبَعْدَ الفُطورِ تَكَلَّمَتِ الخالَةُ بوللي بِحُزْنٍ مُوَجِّهَةً حَديثَها إلى توم : « ما الَّذي أَفْعَلُهُ مَعَكَ ؟»

وَرَجاها توم أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ ، وَ وَعَدَ بِأَنْ يُحَسِّنَ مِنْ تَصَرُّفاتِهِ . وَكانَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَذْهَبَ إلى المَدْرَسَةِ . وَضَرَبَهُ السَّيِّدُ دوبنز لأَنَّهُ تَغَيَّبَ في اليَوْمِ السّابِقِ . وَجَلَسَ توم حَزينًا ، وَنَظَرَ إلى الحائِطِ .

كانتْ خالَتُهُ غاضِبَةً مِنْهُ ، وَكانَ السَّيِّدُ دوبْنز غاضِباً مِنْهُ أَيْضاً ، وهُوَ نَفْسُه خائِفٌ مِنْ رِدْ جو . كانَ كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ لا يَبْعَثُ عَلى الرِّضا .

وَلاحَظَ توم شَيْئاً في الوَرَقَةِ المَوْضوعَةِ عَلى مَكْتَبِهِ ؛ فَإِذا بِها الأُكْرَةُ المَعْدِنِيَّةُ ! إِذاً فَالفَتاةُ بِكِي قَدْ أَعادَتْها إِلَيْهِ . وَكانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِمّا يَحْتَمِلُ ؛ بَلْ كانَتِ النِّهايَةَ . لَقَدْ تَحَطَّمَ قَلْبُ توم !

الفصل الثامن

توم يتكلم وهو نائم

في اليَوْمِ التّالي كانَ الجَميعُ يَتَكَلَّمونَ عَنِ الطَّبيبِ الَّذي قُتِلَ ، وعَنِ السِّكّينِ التي عُثِرَ عليْها مُلْقاةً فَوْقَ العُشْبِ بِالقُرْبِ مِنْ جُثَّةِ الطَّبيبِ ، وَعَنْ أَنَّها سِكّينُ ماف بُوتَر ، وَعَلى ذَلِكَ أَصْبَحَ في وَرْطَةٍ. وحَدَثَ شَيْءٌ آخَرُ أَيْضاً ؛ فَقَدْ رَأى شَخْصٌ ماف بُوتَر يَغْتَسِلُ في غَديرٍ . وَكانَ هذا شَيْئاً غَريباً ، لأَنَّ بوتر قَلَّما كانَ يَغْتَسِلُ ، فَلِماذا اغْتَسَلَ في هَذا الصَّباحِ بِالذّاتِ؟ هَلْ كانَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ مِنَ الدِّماءِ ؟ بَلْ لَمْ يَعْثُرْ أَحَدٌ عَلى بُوتَر ، فَأَيْنَ ذَهَبَ ؟

وَذَهَبَ أَهْلُ القَرْيَةِ إِلى المَقابِرِ ، فَقَدْ أَرادوا أَنْ يَرَوُا المَكانَ المُرْعِبَ ، وَقالَ أَحَدُهُمْ : « سَوْفَ يُشْنَقُ ماف بُوتَر بِسَبَبِ فَعْلَتِهِ . » وَنَظَرَ توم إِلى رِدْ جو الَّذي كانَ صامِتاً . وَعَلا صَوْتُ : « هَا هُوَ ذا

بوتر ! بوتر قادِمٌ !»

وأفْسَحَ الجَمْعُ المُحْتَشِدُ الطَّرِيقَ لِلْمأمورِ الَّذي كانَ يَقْتادُ بُوتَر وسْطَ النّاس . وَكانَتْ عَيْنا بُوتَر حَرينَتَيْنِ ، ويَمْلأهُما الرُّعْبُ . وَعِنْدَما وَقَفَ بِجِوارِ جُثَّةِ الطَّبيبِ سَرَتْ في جِسْمِهِ رَعْشَةٌ .

قالَ بُوتَر : « أنا لَمْ أرْتَكِبْ هَذِهِ الجَريمَةَ أيُّها الأصْدِقاءُ ! لَمْ أرْتَكِبْها !»

سألَ أحَدُهُم : « مَنِ الَّذي اتَّهمَكَ ؟ هَلِ اتَّهَمَكَ أحَدٌ ؟» وَنَظَرَ بُوتَر إلى مَصْدَرِ الصَّوتِ فَرَأى رِدْ حو ، فَصَرَخَ قائلاً : « أ لَمْ تَعِدْني ، يا جو ، بِألا تُخْبِرَ أحَداً بِشَيْءٍ ؟»

سَألَه المأمورُ : « هَلْ هَذِهِ سِكّينُكَ ؟» وأمْسَكَ العُمْدَةُ بالسِّكّين وَقَرَّبَها مِنْ وَجْهِ بُوتَر .

رَأى بُوتَر أنْ لا أمَلَ لَهُ فَقالَ : « قُلْ لَهُمْ ، يا جو ؟»

وَقال جو كِذْبَتَهُ الشَّنْعاءَ ، وسَمِعَها كُلٌّ مِنْ توم وهاكِلْبِري ، وَدَهِشا وَلَكِنَّهُما لَمْ يقولا شَيْئاً . وَصَدَّقَ كُلُّ إنْسانٍ جو ، وَذَهَبَ بُوتَر إلى السِّجْنِ ، وكانَ عَلَيهِ أنْ يَبْقى فيه يَوْماً آخَرَ . وَساعَدَ رِدْ جو في نَقْلِ جُثَّةِ الطَّبيبِ .

وَذاتَ صَباحٍ ، أثْناءَ تَناوُلِ الفُطورِ ، فاجَأ سِيدْ أخاه توم بِقَوْلِهِ :

« توم ! توم ! إنَّكَ تَتَقَلَّبُ كَثيراً في فِراشِكَ ، وَتَتَكَلَّمُ وَأنْتَ نائِمٌ ، لِذَلِكَ لا أسْتَطيعُ أنْ أنامَ . أرْجوكَ أنْ تَكونَ هادِئاً في اللَّيْلِ .»

ارْتَعَشَ توم وَخَفَضَ عَيْنَيْهِ .

وَقالَتِ الخالَةُ بوللي : « هذه عَلامَةُ سَيِّئَةٌ . ما الَّذي يُقْلِقُكَ ، يا توم ؟»

أجابها توم : « لا شَيْءَ . لا أعْرِفُ أيَّ شَيْءٍ .» لَكِنَّ يَدَهُ كانَتْ تَرْتَعِشُ حَتّى إنَّه لَمْ يَسْتَطِعِ الإمْساكَ بِفِنْجانِهِ جَيِّداً .

وَمَضى سِيدْ في حَديثِه قائلاً : « إنَّكَ تَقولُ أشْياءَ مُرْعِبَةً ؛ فَلَيْلَةَ أمْسِ كُنْتَ تَتَكَلَّمُ عَنِ الدِّماءِ . قُلْتَ : « دَمْ » وَكَرَّرْتَها كَثيراً . وَقُلْتَ إنَّكَ تُريدُ أنْ تَقول ... تَقولَ ماذا ، يا توم ؟»

وَلَمْ يُجِبْهُ توم ، لأنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ ، وظَلَّ صامِتاً وَمِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أنْ أنْقَذَتْهُ الخالَةُ بوللي بِقَوْلِها : « آه ، إنَّكَ تَحْلُمُ بِخُصوصِ جَريمَةِ القَتْلِ الَّتي حَدَثَتْ في المَقابِرِ . لَقَدْ كانَتْ جَريمَةً بَشِعَةً . أنا أحْلُمُ بِها أيْضاً ، وَتَقولُ ماري الشَّيْءَ نَفْسَهُ .»

وَتَمَلَّصَ توم مِنْ هذا المَوْقِفِ عِنْدَما سَنَحَتْ لَهُ الفُرْصَةُ بِذَلِكَ . وَقَرَّرَ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً حِيالَ الأمْرِ ، فَتَظاهَرَ بِأنَّ سِنَّةً مِنْ أسْنانِهِ تُؤْلِمُهُ . وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يَلُفَّ وَجْهَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ القُماشِ ، وَبِذَلِكَ لَنْ يَتَكَلَّمَ

بِوُضوحٍ وَهُوَ نائِمٌ . وَلَكِنَّ سِيدْ أَزاحَ القُماشَ عَنْ وَجْهِهِ في أَثْناءِ اللَّيْلِ ، وانْصَتَ إلى ما قالَهُ توم ، وَأعادَ قِطْعَةَ القُماشِ إلى مَكانِها .

وَنَسِيَ توم بالتَّدريجِ مَتاعِبَهُ ، وَقَلَّ كَلامُهُ وَهُوَ نائِمٌ . وَفي بَعْضِ الأحيانِ كانَ يَذْهَبُ إلى السِّجْنِ لِزيارَةِ بُوتَر وَتَزْويدِهِ بِما يَحْتاجُهُ . وَكانَ يَشْعُرُ بِالأسى نَحْوَهُ ، وَكَذَلِكَ كانَ هاكِلْبِري .

الفصل التاسع

مُسَكِّنُ الألم

عِنْدَما تَوَقَّفَتْ بِكِي ثاتشر فَجْأَةً عَنِ الذَّهابِ إلى المَدْرَسَةِ ، حَزِنَ توم حُزْنًا شَديداً ، وَنَسِيَ جَريمَةَ مَقْتَلِ الطَّبيبِ . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ : « أَيْنَ بِكي ؟ هَلْ هِيَ مَريضَةٌ ؟ لَعَلَّها مُشْرِفَةٌ عَلى المَوْتِ . وَلَمْ تَعُدْ حَياةُ توم سَعيدةً كَما كانَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَظَنَّتْ خالَتُهُ أَنَّهُ مَريضٌ : فَوَجْهُهُ بِكُلِّ تأكيدٍ لا يُعَبِّرُ عَنْ سعادَتِهِ ، فَبَدأَتْ تُعطيهِ دواءً .

وَكانَتِ الخالَةُ بوللي تُحِبُّ كُلَّ أَنْواعِ الأَدْوِيَةِ ؛ فَأَيُّ دَواءٍ جَديدٍ يَظْهَرُ في المَحِلّاتِ يَبْعَثُ في نَفْسِها السُّرورَ . وَكانَتْ تُحِبُّ القِراءَةَ عَنِ الصِّحَّةِ ، وَكانَ لَدَيْها الكَثيرُ مِنَ الكُتُبِ وَالأَوْراقِ الَّتي تَتَناوَلُ مَشاكِلَ الصِّحَّةِ . وَكانَتْ تَعي الكَثيرَ عَنِ الطَّعامِ وَالنَّوْمِ ، وَتَعْرِفُ أَجْوَدَ أَنْواعِ المَلابِسِ ، لأَنَّها قَرَأَتِ الكُتُبَ المُتَخَصِّصَةَ في الثِّيابِ . وكانَتْ تُصَدِّقُ أَيْضاً كُلَّ شَيْءٍ لأَنَّها كانَتِ امْرَأَةً بَسيطَةً .

وكانتْ أحْدَثَ فِكْرةٍ تَحدَّثَتْ عَنْها الجَرائدُ استِخْدامُ الماءِ البارِدِ . ولَمّا كانَ توم مَريضاً ، لِذَلِكَ كانَتْ تَصُبُّ الماءَ البارِدَ فَوْقَهُ كُلَّ صَباحٍ . وَكانَتْ تَجعلُهُ يَقِفُ في الخارجِ ثُمَّ تُلْقي بِالماءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَلُفُّهُ في مُلاءَةٍ مُبَلَّلَةٍ وَتَضعُهُ في الفِراشِ . لكِنَّ كُلَّ هَذا لَمْ يُحَسِّنْ مِنْ حالِ توم ، وَكانَ حُزْنُهُ يَتَزايَدُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ . وَاشْتَدَّ شُحوبُ وَجْهِهِ ، فَجَرَّبَتْ مَعَهُ الحَمّاماتِ السّاخِنَةَ ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوى ، وَجَرَّبَتْ كَذَلِكَ أَنْواعاً مُخْتَلِفَةً مِنَ الأَدْوِيَةِ ، وَلَكِنَّها أَيْضاً لَمْ تُفِدْهُ بَلْ لَمْ يُقْبِلْ عَلَيْها توم ، وَفَقَدَ اهْتِمامَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

وسَمِعَتِ الخالةُ بوللي عَنْ دَواءٍ جَديدٍ ، وَكانَ اسْمُهُ « مُسَكِّنَ الأَلَمِ » ؛ فَاشْتَرَتْ كَمِّيَّةً مِنْهُ وَجَرَّبَتْهُ عَلى توم . وَكانَ مَذاقُ الدَّواءِ حَريفاً يُلْهِبُ الفَمَ كَما لَوْ كانَ ناراً . وَفَرِحَتِ الخالةُ بوللي بِهِ ، وأَعْطَتْ توم بَعْضاً مِنْهُ وَراقَبَتِ النَّتيجَةَ . وَمِمّا لا شَكَّ فيه أَنَّ الدَّواءَ أَثارَ اهْتِمامَ توم ، فَقَدْ أَلْهَبَ فَمَهُ وَجَعَلَهُ يَقْفِزُ عالِياً في الهَواءِ . وَأَلْزَمَتْهُ الخالةُ بوللي بِأَنْ يَشْرَبَ مِنْهُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ .

وَقَرَّرَ توم أَنْ يُحْدِثَ تَغْييراً ، فَلَمْ يَكُنْ راضِياً بِهَذا النَّوْعِ مِنَ الحَياةِ . وَكَرِهَ الدَّواءَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ ، ولكنَّهُ تَظاهَرَ بِأَنَّهُ يُحِبُّهُ ، فَكانَ يَسْأَلُ عَنْ « مُسَكِّنِ الأَلَمِ » عِدَّةَ مَرّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ . وَسُرْعانَ ما صَحَّتْ خالَتُهُ مِنْ طَلَباتِهِ المُتَكَرِّرَةِ ، فَأَجْبَرَتْهُ بِأَنْ يَأْخُذَ

الدَّواءَ بِنَفْسِهِ . وَلَكِنَّها رَاقَبَتْ زُجاجَةَ الدَّواءِ سِرًّا ، وَرَأَتْ أَنَّ الدَّواءَ يَنْقُصُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ . وَلَمْ تَعْرِفِ الحَقيقَةَ ، فَقَدْ كانَ توم يَسْكُبُهُ خِلْسَةً في بالوعَةٍ بِالأَرْضِ .

وَذاتَ يَوْمٍ عِنْدَما كانَ توم يَفْعَلُ ذَلِكَ ، ظَهَرَتْ قِطَّةُ خالَتِهِ وَنَظَرَتْ إِلى الدَّواءِ بِشَراهَةٍ وَقَدَّمَ لَها توم بَعْضاً مِنْهُ ، وَفَتَحَ فَمَها ثُمَّ صَبَّ فيهِ بِمِلْعَقَةٍ بَعْضَ دَواءِ « مُسَكِّنِ الأَلَمِ » وَقَفَزَتِ القِطَّةُ مِتْرَيْنِ في الهَواءِ ، وَصَرَخَتْ مَذْعورَةً ، وَانْدَفَعَتْ تَدورُ بِسُرْعَةٍ حَوْلَ الحُجْرَةِ ، وَكانَ مُواؤُها غَريباً . وَراحَتْ تَرْقُصُ عَلى قَدَمَيْها الخَلْفِيَّتَيْنِ ، ثُمَّ جَرَتْ في كُلِّ أَنْحاءِ البَيْتِ ، وَحَطَّمَتْ أَشْياءَ

كثيرةً .

وَجاءَتِ الخالةُ بوللي عِنْدَ سَماعِها لِتِلْكَ الأَصْواتِ . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ قَفَزَتِ القِطَّةُ مِنَ النّافِذَةِ المَفْتوحَةِ ، وانْطَلَقَتْ بَعيداً . رأَتِ الخالةُ ما حَدَثَ ، فَتَمَلَّكَتْها دَهْشَةٌ شَديدَةٌ ، فَنَظَرَتْ إلى توم ، وكانَ مُسْتَلْقِياً في الفِراشِ وَغارِقاً في الضَّحِكِ .

قالَتْ : « توم ، ماذا حَدَثَ لِلْقِطَّةِ ؟»

أجابَ وَهُوَ يَضْحَكُ : « لا أَعْرِفُ ، يا خالَتي !»

« ما الَّذي جَعَلَها تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟»

« لا أَعْرِفُ ، يا خالَتي ؛ فالقِطَطُ تَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَما تَكونُ سَعيدَةً ؟»

قالَتْ : « أَ حَقًّا تَفْعَلُ القِطَطُ ذَلِكَ ؟» وانْحَنَتِ الخالَةُ لِتَنْظُرَ تَحْتَ الفِراشِ ، ثُمَّ تَناوَلَتِ المِلْعَقَةَ الَّتي اسْتَخْدَمَها توم . وكَفَّ توم عَنِ الضَّحِكِ ؛ فَسَأَلَتْهُ : « ما الَّذي فَعَلَتْهُ بِهَذِهِ القِطَّةِ المِسْكينَةِ ؟ لَقَدْ أَعْطَيْتَها بَعْضَ الدَّواءِ . لِمادا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟»

« لأَنَّني أَشْعُرُ بِالأَسَفِ أَنَّهُ لا خالَةَ لَها ، وَلا أَحَدَ يُعْطيها دَواءً ، وَلا أَحَدَ يُلْهِبُ مَعِدَتَها . يا لِلْقِطَّةِ المِسْكينَةِ !»

وَأَحَسَّتِ الخالَةُ بوللي بِالأَسَفِ لَحْظَةً ، فَالدَّواءُ أَضَرَّ بِالقِطَّةِ وَرُبَّما أَضَرَّ بِتوم أَيْضاً ؛ فَوَضَعَتْ يَدَها بِرِفْقٍ عَلى رَأْسِهِ قائِلَةً : « إِنَّهُ مُفيدٌ لَكَ ، يا توم ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَحْتاجَ لِدَواءٍ بَعْدَ ذَلِكَ .»

وَعِنْدَما وَصَلَ توم إلى المَدْرَسَةِ انْتَظَرَ بِالقُرْبِ مِنَ البَوّابَةِ ، وَبَعْدَ قَليلٍ رأى جيف ثاتْشَر قادِماً عَلى الطَّريقِ ، وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ أُخْتُهُ . وَأَسِفَ توم لِذَلِكَ كَثيراً ، وَأَخَذَ يَرْقُبُ كُلَّ الفَتَياتِ القادِماتِ إلى المَدْرَسَةِ ، وَلَكِنَّ بِكي لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُنَّ ، فَفَقَدَ كُلَّ أَمَلٍ في رُؤْيَتِها ، وَفَجْأَةً وَصَلَتْ بِكي .

بَدَأَ توم يَلْعَبُ بِالقُرْبِ مِنْها ، وَ وَقَفَ وَتَكَلَّمَ بِالقُرْبِ مِنْها أَيْضاً وَقَفَزَ وَجَرى حَوْلَها وَقَريباً مِنْها وَلَكِنَّها لَمْ تَأْبَهْ بِهِ ، فَأَلْقى بِقُبَّعَةِ أَحَدِ الأَوْلادِ عَلى السَّطْحِ ، وَلَكِنَّها حَوَّلَتْ عَيْنَيْها عَنْهُ . وابْتَعَدَ عَنْها ثُمَّ عادَ وَهُوَ يَعْدو في اتِّجاهِها ، ثُمَّ سَقَطَ عَلى الأَرْضِ بِالقُرْبِ مِنْ قَدَمَيْها ، فَاسْتَدارَتْ مُبْتَعِدَةً شامِخَةً بِأَنْفِها في الهَواءِ .

وَانْصَرَفَ توم بِهُدوءٍ .

الفصل العاشر

القراصنة

كانَ توم حَزيناً ، لأنَّهُ لَمْ يَحُزْ إعْجابَ بِكي ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ أصْدِقاءُ ، فَضْلاً عَنْ شُعورِهِ بِالغَضَبِ . وَحاوَلَ أنْ يكونَ حَسَنَ السُّلوكِ لَكِنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِهِ أحدٌ فَقَرَّرَ أنْ يَعيشَ حَياةً شِرِّيرَةً . وَخَرَجَ إلى الحُقولِ وَسارَ فيها . وَسَمِعَ جَرَسَ المَدْرَسَةِ يُدَقُّ مِنْ بَعيدٍ ، فَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَنْ أَسْمَعَ هَذا الصَّوْتَ مَرَّةً أُخْرى ! »

وَبَكى قَليلاً ، وفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لَقِيَ صَديقَهُ جو هارِبر ، الَّذي أَخْبَرَهُ أنَّ أُمَّهُ ضَرَبَتْهُ عِقاباً لَهُ عَلى قِيامِهِ بِالسَّرِقَةِ ، رَغْمَ أنَّهُ لَمْ يَسْرِقْ شَيْئاً ، وَمِنَ الجائِزِ أنَّها ضَرَبَتْهُ لِسَبَبٍ آخَرَ . وَهِيَ لَمْ تَعُدْ تُحِبُّهُ ، وَكانَ ذَلِكَ واضِحاً ؛ لأنَّها طَرَدَتْهُ مِنَ البَيْتِ ، ولَكِنَّهُ لَيْسَ غاضِباً مِنْها ، وَقالَ لتوم إنَّهُ يَتَمَنّى لَها السَّعادَةَ .

وَاتَّفَقَ الوَلَدانِ عَلى أنْ يَعْمَلا مَعاً ، وَحَدَّدا خُطَطَهُما . واقْتَرَحَ

توم أنْ يعيشا حياة الجريمة وأعْجب جو بالاقْتِراحِ إعْجاباً شَديداً ، واتَّفَقا عَلى أنْ يُصْبِحا قُرْصانَيْنِ . وَكانَتْ ثَمَّةَ حَريرَةٌ مَهْجورَةٌ بِالقُرْبِ مِنْهُما في نَهْرِ المسيسيبي ، وكانَ اسْمُها حَريرة حاكْسون وتَنْمو عَلَيْها أشجارٌ كثيرَةٌ . وقال توم لِصديقِهِ : « سَنَلْتَقي هُناكَ حَيْثُ يُمْكِنُنا أنْ نُقيمَ لَنا مُعَسْكَراً . هَلْ أحضِرُ مَعي هاك ؟ » وَ وافَقَ جو ، فَذَهَبَ توم يَبْحَثُ عَنْ هاكِلْبِري ، الَّذي وافَقَ بِدَوْرِهِ عَلى الاشْتِراكِ مَعَهُما ، فَقَدْ كانَتِ الأمورُ تستَوي عِنْدَهُ . وسَرَقوا بَعْضَ الطَّعامِ ، وَراحوا يَتَناوَلونَهُ عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ .

وعَثَروا فيما بَعْدُ عَلى طَوْفٍ فَسَرَقوهُ أيْضاً ، وَنَزَلوا بِهِ إلى النَّهْرِ

وانْحرفوا . وقف توم في الوسط وأعطى أوامرهُ كالرُّبّانِ . و وصل بهم الصُّوفُ إلى حريره حاكسون ، وكانت السّاعةُ تُشيرُ إلى الثّانية صباحًا ، وفي الحال أوْقدوا نارًا وكانوا يستمْتِعون بوقْتِهِمْ كثيرًا ، وَتَناوَلوا وَجْبَةً شَهِيَّةً مِنَ الطَّعامِ .

وصاحَ توم : « هذا هُوَ نَوْعُ الحياةِ الحقَّةِ ؛ فَلا عليْنا أنْ نَسْتَيْقِظ مُبكِّرين ، ولا عليْنا أنْ نذْهب إلى المدْرسه ، ولا عليْنا أنْ نغْسل وُجوهَنا .»

قالَ هاكلبري : « إنَّ القراصنةَ لا يفْعلون هذه الأشياء أبدًا ؛ وَلكِنْ ما الَّذي يَفْعَلُهُ القراصِنَةُ ؟»

ردَّ توم . « إنَّهُمْ يستَوْلون على السُّفُن ويُحْرقونها . ويغْرُون على المالِ في بعْض السُّفُن ، فَيَدْفنونهُ في أماكن غَريبَةٍ في جزيرتهمْ . وهُناك دائمًا بعْضُ الأشْباح في الجُزُر ، وهي تُرافِقُ المالَ ، وتبْقى بِجِواره لِتَحْرُسَهُ ؟»

واسْتمرَّ حديثُ الأوْلادِ بعْض الوقْتِ ، ثمَّ توقَّف ، وكانوا مُنْصِتين . وبدأوا يشْعُرون أنَّ رحيلَهُمْ عنْ بيوتهمْ خطأ ، والسَّرِقة خطأ أيْضًا ؛ لِذا قَرَّروا ألا يَسْرِقوا مَرَّةً أخْرى

وَسَرْعانَ ما اسْتغْرَقوا في النَّومِ .

الفصل الحادي عشر

زيارة غريبة

في الصَّباحِ [illegible] أوانَ اخْتفاء طوْفهمْ ، فقدْ حرقهُ الليْلَ [illegible] الأمر . [illegible] إفْطارهُم [illegible] سهْلًا . ثمَّ قام القراصنةُ الثَّلاثةُ بالتَّجوال في جزيرتهمْ ، وكانوا [illegible] في النَّهر مرَّة أخْرى [illegible] إلى المُكان الَّذي [illegible] للغروب [illegible] بعضًا من لحْم [illegible] وجلسوا صامتين [illegible]

[illegible] كانوا [illegible] عرفوا شيْئًا من النَّهْر [illegible] يستطيعون الأمر [illegible] بعض الوقْت [illegible] الرِّجال ، وَكانَ المأمورُ واحِدًا مِنْهُمْ .

قال توم : « إنَّهُمْ يبْحثون عنْ جثَّةٍ في النَّهْر . فقد [illegible] شخْصٌ !»

وعقّب هاكلبري : « هذا صحيح . لقد فعلوا الشيء نفسه في الصيف الماضي عندما مات بل تيرنر ولكن ترى من الذي غرق ؟»

وراقب الأولاد القوارب لبعض الوقت ، وفجأة قال توم : « إنني أعرف أنهم يبحثون عنا . يظنون أننا متنا !»

كانوا جميعاً في غاية السرور ؛ فالناس آسفون لعيابهم . وها هم أولاء يبحثون عن جثتهم ، ولعل بعضهم يبكي على فراقهم

وفي المساء ابتعدت القوارب ، وعاد القراصنة الثلاثة إلى المعسكر واصطادوا بعض الأسماك وطهوها ، وراحوا يتناولون وجبتهم وهم يتحدثون عن قوارب البحث عنهم ، وتذكروا سكان القرية المختلفين وأحرجهم ذلك ، فتساءل حو : « أيسعى علينا أن نعود ؟» لكن توم ضحك من الفكرة ، وكذلك هاكلبري .

وعندما حل الليل نام هاكلبري و حو ، فتسلل توم بهدوء وسار بين الأشجار . و واصل سيره إلى النهر ، ثم سبح فيه حتى الشاطئ . وفي الساعة العاشرة والنصف كان في القرية ، ودهب بهدوء صوب بيت خالته ، وسرعان ما أصبح في الحديقة .

وكانت ثمة شمعة مشتعلة في إحدى الغرف . واستطاع توم أن

يرى خالته وسيد وماري و والدة جو هارپر ، وكانوا يتكلمون ولكنهم لم يروه . وبهدوء شديد دخل المنزل واختبأ تحت سرير . ولم يغلق الباب جيداً ، وهبت على البيت ريح خفيفة .

قالت خالته : « أرى ضوء الشمعة يتراقص . إنني أشعر بريح في الغرفة . الباب ! آه ، لقد فهمت . الباب مفتوح . أغلقه ، يا سيد من فضلك .»

وأغلق سيد الباب الذي تركه توم مفتوحاً ، ثم جلس مرة أخرى .

واصلت الخالة كلامها : « كثيراً ما كنت أقول إن توم ولد غير سيء ؛ فله قلب طيب ولكني كنت أعاقبه في بعض الأحيان .» ثم راحت تبكي بصوت خافت .

وبدأت والدة جو هارپر تبكي هي الأخرى وقالت : « إن ابني جو كان دائماً عطوفاً علي ، وكان يسرق أحياناً بعض الأشياء ؛ لذا كنت أضربه ، ولكنه لم يكن يسرق دائماً . ولم أكن على حق دائماً كلما ضربته ؟»

قال سيد : « لم يكن توم ولداً طيباً .»

صرخت فيه الخالة بولي : « لا تقل كلمة واحدة ضد توم

وَأَجْهَشَتْ بِالْبُكَاءِ بِصَوْتٍ عَالٍ .

تحت السرير وأراد أن يطلب حظ حالته . لكنه ظل في مكانه
محتشماً . وكان الآخرون يتكلمون عن حو هارپر وعنه . وأراد توم أن
ينصت لما يقال .

في حين أن الأولاد دهشوا بسبب ، ولكنهم
لم يعودوا إلى مكانه ... اعتقد كل واحد أنهم عرفوا في
النهر أنهم سمعوا ... فاعتقدوا أن
الأولاد ... على الأولاد . وقال الناس أن
... وقال الحقيقة يوماً ... توم
لا ... حو هارپر باكية إلى بيتها . وهدأ ...
... باكية ... وعندما استغرقن في النوم قام توم
... ولكنه لم يسر ما قبل عن الحارة
... « يوم الأحد لا بد أن أتذكر ذلك »

وَفَكَّرَ فِي خُطَّةٍ بَسِيطَةٍ وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى الْمُعَسْكَرِ .

الفصل الثاني عشر

القراصنة منعزلون

لعب الأولاد على الرمال ، وسبحوا في النهر ... بالتعب استلقوا على الرمال الساخنة ، ثم خطوا ... قليل جلسوا حتى الرمال ، ونصف إلى بعد عشر ... برؤا القرية . وكتب توم اسم ... على الرمل بإصبع قدمه ، وابتهج غَضِبَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَحَا الاسْمَ ، ثُمَّ كَتَبَهُ ثَانِيَةً .

كان حو ... العقدة إلى ... هذا ... لم يفصح عن ذلك .

قال حو « أريد العقدة إلى ... »

قال توم « سوف نسبح في النهر ... »

صَيْدُ السَّمَكِ .»

« لا أريدُ أنْ أصْطادَ السَّمَكَ ، بَلْ أريدُ العَوْدَةَ إلى بَيْتي .»

قالَ توم : « يُمْكِنُكَ السِّباحَةُ هُنا .»

رَدَّ جو : « لا أحِبُّ السِّباحَةَ عِنْدَما لا يَمْنَعُني عَنْها أحَدٌ .»

« إنَّكَ طِفْلٌ . إنَّكَ تُريدُ العَوْدَةَ لِتَرى أُمَّكَ .»

« نَعَمْ أريدُ أنْ أعودَ لأرى أُمّي . إنَّكَ بِلا أُمٍّ ، فَكَيْفَ تَعْرِفُ هَذا الإحْساسَ ! كما أنَّني لَسْتُ بِطِفْلٍ .»

قالَ توم : « سَنَدَعُ الطِّفْلَ الصَّغيرَ يَعودُ إلى مَنْزِلِهِ لِيَرى أُمَّهُ . وَلَكِنَّكَ مُعْجَبٌ بِالمكانِ هُنا ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ يا هاك ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري بِصَوْتٍ ضَعيفٍ ، وَنَظَراتُ الشَّكِّ تَبْدو عَلى مُحَيّاهُ : « نـ .. عـ .. م !»

وَنَهَضَ جو مِنْ مَكانِهِ ، وَبَدَأَ يَرْتَدي مَلابِسَهُ .

قالَ توم مُحْتَجًّا : « أيُّ نَوْعٍ مِنَ القَراصِنَةِ أَنْتَ ؟ يُمْكِنُني أنا وَهاكِلْبِري أنْ نُصْبِحَ قُرْصانَيْنِ بِدونِكَ .»

لَكِنَّ جو ارْتَدى مَلابِسَهُ ، فَشَعَرَ توم بِالقَلَقِ . وَراقَبَ هاكِلْبِري ما كانَ يَجْري بِحُزْنٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَنَزَلَ إلى الماءِ ، واشْتَدَّ

شُعورُ توم بِالقَلَقِ أكْثَرَ ، فَنَظَرَ إلى هاكِلْبِري .

قالَ هاكِلْبِري : « وَأنا أريدُ أنْ أذْهَبَ أيْضا ؛ فالمكانُ هُنا مُوحِشٌ مُنْذُ جِئْناهُ ، وَسَيكونُ أسْوَأَ بَعْدَ ذَلِكَ . تَعالَ مَعي ، يا توم ، وَسَنَذْهَبُ مَعًا .»

قالَ توم : « لَنْ أعودَ وَيُمْكِنُكَ أنْ تَذْهَبَ إذا كانَتْ هَذِهِ رَغْبَتَكَ ، أمّا أنا فَسَأَمْكُثُ هُنا .»

وَجَمَعَ هاكِلْبِري مَلابِسَهُ وَارْتَداها ، ثُمَّ غادَرَ المكانَ تارِكًا توم وَحْدَهُ . وَراقَبَ توم الاثْنَيْنِ بِحُزْنٍ وَأسًى ، وَكانَ يَوَدُّ أنْ يَذْهَبَ مَعَهُما ، لَكِنَّ كِبْرِياءَهُ مَنَعَتْهُ . ثُمَّ تَذَكَّرَ خُطَّتَهُ السِّرِّيَّةَ ، فَقَفَزَ مِنْ مَكانِهِ صائِحًا : « انْتَظِرا ! انْتَظِرا ! أريدُ أنْ أقولَ لَكُما شَيْئًا .»

وَتَوَقَّفَ الاثْنانِ ، وَاسْتَدارا لِيَنْظُرا إلَيْهِ ، فَجَرى نَحْوَهُما ، وَأطْلَعَهُما عَلى فِكْرَتِهِ . وَما إنْ أتَمَّ كَلامَهُ حَتّى ضَحِكَ الاثْنانِ بِصَوْتٍ عالٍ ، وأقَرّا بِأنَّها خُطَّةٌ مُدْهِشَةٌ . وَبَعْدَ قَليلٍ عادَ الثَّلاثَةُ إلى المُعَسْكَرِ .

وَبَعْدَ أنْ تَناوَلوا غَداءَهُمْ راحوا يَتَحَدَّثون ، وَطالَ بِهِمُ الحَديثُ ، وَتَذَكَّروا الأوْلادَ الآخَرينَ في المَدْرَسَةِ . وَلَكِنْ ، كانَتْ هُناكَ وَقَفاتٌ في حَديثِهِم ، وَكانَتْ فَتَراتُ الصَّمْتِ أطْوَلَ . وَكانَتْ وُجوهُهُمْ مُمْتَقِعَةً وَمُبْتَلَّةً .

وَكانَ توم يَرْتَعِشُ ، وَتَمَنّى لَوْ كانَ قَدْ ماتَ ، فَقالَ :

شَجَرَتَيْنِ في مَكانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَأَدْرَكَ أَنَّهُما مَريضانِ .

الفصل الثالث عشر

العاصفة

وَجَرى الثَّلاثَةُ في الظَّلامِ نَحْوَ الخيمه ، و وَجَدوا صَديقَهُم على

ضَوْءِ وَمَضاتِ البَرْقِ . وَلَمّا دَخَلوا الخَيْمَةَ كانَ المَطَرُ قَدْ بَلَّلَهُمْ تَماماً . وَحاوَلوا أَنْ يَتَكَلَّموا ، وَلَكِنَّ صَوْتَ العاصِفَةِ الرَّهيبَ مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . وَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ ، وَسَقَطَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ . وَاسْتَمَرَّتْ وَمَضاتُ البَرْقِ وَكَذَلِكَ الرَّعْدُ خارِجَ الخَيْمَةِ . وَفَجْأَةً مَزَّقَتِ الرِّيحُ العَنيفَةُ خَيْمَتَهُم ، وَطَوَّحَتْ بِها بَعيداً .

وَأَصْبَحَ الثَّلاثَةُ بِلا غِطاءٍ يَحْمِيهِمْ مِنْ عُنْفِ العاصِفَةِ ، فَجَرَوْا نَحْوَ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ . وَكانَتِ الشَّجَرَةُ وَغَيْرُها مِنَ الأَشْجارِ مُنْحَنِيَةً تَحْتَ وَطْأَةِ الرِّيحِ وَشِدَّةِ هُبوبِها ، وَأَحْياناً كانَتْ شَجَرَةٌ عالِيَةٌ تَسْقُطُ إِلى الأَرْضِ مُحْدِثَةً صَوْتاً عَظيماً . وَانْضَمَّ صَوْتا الرِّيحِ وَالرَّعْدِ إِلى الصَّوْتِ الَّذي أَحْدَثَهُ سُقوطُ الأَشْجارِ الضَّخْمَةِ . وَاسْتَمَرَّ عُنْفُ العاصِفَةِ لِوَقْتٍ طَويلٍ . وَأَخيراً هَدَأَتِ العاصِفَةُ ، وَاخْتَفَى البَرْقُ وَالرَّعْدُ .

عادَ الثَّلاثَةُ بَعْدَ العاصِفَةِ إِلى المُعَسْكَرِ الَّذي أَصْبَحَ الآنَ مَكاناً مُخْتَلِفاً . كانَتْ شَجَرَةٌ تُظَلِّلُ فِراشَهُمْ ، لَكِنَّ العاصِفَةَ حَطَّمَتْها وَسَقَطَتْ عَلى الأَرْضِ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مُبْتَلّاً فيما عَدا بَعْضَ أَغْصانٍ بِجِوارِ الشَّجَرَةِ . كانَتْ مَلابِسُهُمْ مُبْتَلَّةً تَماماً ، وَلَمْ تَكُنْ خَيْمَتُهُمْ مُثَبَّتَةً في مَكانِها العادِيِّ . وَانْطَفَأَتِ النّارُ الَّتي أَشْعَلوها . وَكانَ المَكانُ مُوحِشَ المَنْظَرِ ، وَخافَ الأَوْلادُ وَارْتَعَبوا .

وكانت [illegible] لأغصان [illegible]. فلم [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] يناموا فوقه.

[illegible] على الرمال. [illegible] حرارة الشمس [illegible]
[illegible]
[illegible]
السرقة [illegible] ومضى الوقت [illegible] بعض الشيء، وعندما [illegible] للعب مع توم، وتغنّوا جميعًا في تلك الليلة.

الفصل الرابع عشر
الجنازات

في المدينة الصغيرة لم تكن بكي ثاتشر سعيدة. وكان عليها أن تذهب إلى المدرسة، [illegible] يوم لم يكن هناك، فأحسّت أنها وحيدة وتذكّرت الأكرة المعدنية، تلك التي تركتها على مكتب توم، وأصبحت الآن لا تملك أكرة مثلها. وراحت تفكّر: «إنني لن أراه مرّة أخرى. لن أراه أبدًا! أبدًا!» وبدأت تبكي بهدوء في ركن من أركان غرفة الدراسة.

وجاء بعض الأولاد والبنات فأطلّوا من فوق سور المدرسة، وكانوا يتكلّمون عن توم ويفكّرون فيه. واستطاعت بكي أن تسمع بعض أحاديثهم.

قال أحدهم: «[illegible] أكثر [illegible] يوم السعيد [illegible]؟» وقال آخر: «كنت أقف بالقرب [illegible] قريبًا جدًا منه [illegible] تخيّل ذلك!» ويبتسم

توم وشعرتُ بغرابةٍ ! والآنَ قدْ ماتَ توم ! أ ليْسَ ذلكَ فظيعاً ؟»

سألَ أحدُهُمْ : « من الّذي رآه آخرِ مرّةٍ ؟» فقال أحدُ الأوْلادِ إنّهُ رأى توم مُنْذُ فترةٍ قصيرةٍ جدًّا . و وافقَ الآخرون على أنّ أحداً لمْ يرَهُ بعْدَ ذلك . وأصْبحَ ذلكَ الولدُ الّذي رآه أخيراً على درجةٍ من الأهَمّيّةِ بالنّسْبةِ لباقي الأوْلادِ .

كانَ كُلُّ واحدٍ يُفكّرُ في جو وتوم ، واعْتقدَ الجميعُ أنّهما ماتا . وَفي اليوْمِ التّالي دُقّت الأجْراسُ في البلْدةِ دقّاتٍ حزينةً ، وسَمعَها النّاسُ في القرْيةِ ، كما سمعها الفلّاحون في الحُقول البعيدةِ ، وَسمعَتْها بِكي أيْضاً . وكانَ يَوْماً حزيناً ؛ لأنّهُ كانَ يوْمَ الجنازات .

وَتجمّعَ النّاسُ وراحوا يتحدّثون في هَمْسٍ ، ثُمّ ساروا بِبُطءٍ ناحيةَ ساحةِ البلْدةِ الّتي سرْعانَ ما امْتلأتْ بِهِمْ . وبعْدَ لحظاتٍ جاءَتْ الحالّةُ بوللي وَسيدْ وماري ، ثُمّ السّيّدةُ هارپر مع عائلتها . وكانوا جَميعاً يرتدون ملابس سوْداء اللّوْن . وَكانتْ جميعُ الوُجوهِ حَزينةً جِدًّا .

كانَ النّاسُ يُفكّرون في الولديْنِ المسْكينيْنِ ؛ فقدْ كانا في حَياتِهما من الأوْلادِ الطّيّبينَ ولكنّهما الآنَ قدْ ماتا ! أ لمْ يكونا أفْضلَ من الأوْلادِ الآخرين ؟ وكانَ الصّمْتُ والوجومُ والحُزْنُ تُخيّمُ

عَلى الجميعِ ، وَفجْأةً سَمعَ النّاسُ صَوْتاً حافتاً ، وَاسْتدارَ كلُّ وَجْهٍ وكُلُّ عيْنٍ نحْوَ ذلكَ الصّوْتِ .

واتّسعتِ العُيونُ عنْ آخرِها في دَهْشةٍ بالغةٍ ؛ فقدْ ظهرَ الأوْلادُ الثّلاثةُ أمامَ الجَميعِ ، وكانَ توم في المُقدّمةِ يتْبعُهُ حو ، وَمنْ خلْفِهِ هاكلبري . وَتعالتْ صيْحاتُ الدّهْشةِ والتّعجّبِ . إذاً فالأوْلادُ لمْ يموتوا . إنّهُمْ أحْياءٌ !

ارْتمَتِ الحالّةُ بوللي وَالسّيّدةُ هارپر وماري عَلى حو وتوم ، وقبّلتْ كُلُّ واحدةٍ ولدها ، وطوّقتْه بذراعِها . وَتعالتْ صيْحاتُ السّعادةِ وَالفرَحِ . ولَكنّ هاكلبري ظلّ واقفاً في الخلْفِ ، وَحاوَلَ أنْ يخْتبِئَ . لمْ يتذكّرْهُ أيُّ إنْسانٍ لِوَقْتٍ قصيرٍ فقالَ توم مُوَجّهاً كَلامهُ لِحالّته : « أ ليْسَ هُناكَ أيُّ شخْصٍ فرِحَ بهاك ؟ لقدْ عادَ هُوَ أيْضاً .»

أجابتْهُ : « إنّي سعيدةٌ بِهِ ! يا للْمسْكينِ ! لمْ يُقبّلْهُ إنْسانٌ قُبْلةً واحدةً !» وتقدّمتِ الحالّةُ بوللي نحْوَ هاكلبري ، وطبعتْ على جَبينِهِ قُبْلةً ، ولكنّ قُبْلتها لمْ تجْعلْهُ سعيداً . لقدْ رآهُما كُلُّ شخْصٍ ، ولَمْ يُعْجِبْهُ ذلكَ .

كانتْ هذهِ هي خُطّةُ توم السّرّيّةَ . كانَ الأوْلادُ الثّلاثةُ قدْ وافقوا

عن أن يعودوا إلى بيوتهم ، ثُمَّ مضوا أيضاً إلى حارتهم . لقد ساروا خارج الدائرة لبعض الوقت ، وعندما أشرقت الشمس ذهبوا إلى الساحة مرّة ، ومكثوا فيها بعض الوقت ، ثُمَّ دقّت الأجراس معلنة عن موعد الجنازات .

وعلى مائدة الفطور في صباح يوم الاثنين أبدت كلٌّ من الخالة ماري وماري رقّة وحناناً نحو توم وقدمت له وجبة شهيّة . لكنَّ الخالة بوللي قالت : « توم ، اعتقدتُ أنّكَ ميتٌ ، وأنتَ تعلمُ ذلك ، ولكنك لم تضمر شيئاً يرضيني ، فلماذا لم تقل لي الحقيقة ؟ لماذا لم تعُدْ إلى هنا لتطلعني على الأمر ؟ »

قالت ماري : « إنَّ توم لا يفكّر في الآخرين . »

ردَّ عليها توم : « أنت مخطئة ، يا خالتي ، أنني أهتمُّ بك ، وقد حلمتُ بكِ ؛ فهذا شيءٌ مهمٌّ . »

ردَّت عليه خالته : « هذا هراء ، لا شيء ، فما الذي حلمتَ به ؟ »

[illegible] الأرجاء ، وكنت جالساً هناك بجوار [illegible] جالساً بالقرب من الصندوق وماري بجواره . »

[illegible] « حسناً جيد كما قلت ، ولكنْ بالطبع هذا ما يفعله

دائماً . »

« وحلمتُ أنَّ أمَّ جو هارپر كانت هنا . »

قالت : « أحقًّا ما تقول ؟ هذا صحيح ؛ فقد كانت هنا ! هل حلمتَ بشيءٍ أكثر من هذا ؟ »

« نعم ، ولكنَّ الحلم غير واضح الآن . »

قالت الخالة : « حاول أن تتذكره ، يا توم . »

وا[illegible] « أعتقد أنَّ [illegible] كانت [illegible] أنهالت [illegible]

« نعم .. نعم .. استمرّ ، يا توم .. استمرّ . »

« ثم قلت [illegible] ما الذي قاله [illegible] دعني أفكر [illegible] قلت إنَّ الباب كان مفتوحاً . »

صاحت خالته : « لقد قلت ذلك بالضبط . قلت وهكذا أليس كذلك ، يا ماري ؟ استمرّ يا توم ! هذا مدهش ! »

[illegible] ثم أقول . »

« ما الذي تظنّه ؟ »

« أظنُّ أنَّكِ تحدَّثْتِ مَعَ سيدْ وقُلْتِ : أرْحوكَ ، أغْلق الباب ، يا سيدْ . »

« حقًّا . قُلْتُ ذلك بالفعْل . لمْ أسْمعْ في حياتي شيْئًا مِثْل هَذا ! لا بُدَّ أنْ أخْبِرَ السَّيِّدَة هارِيِر بهذا الأمْر .. اسْتمرَّ ، يا توم ! »

قالَ توم : « إنَّ الحُلْم أوْضحُ الآنَ قُلْتِ إنَّني لَمْ أكُنْ ولَدًا شرِّيرًا . »

« نَعَمْ .. نَعَمْ .. ثُمَّ ماذا بَعْدَ ذَلِكَ ؟ »

« ثُمَّ بدأتِ تبْكيس ، وَكذلك السَّيِّدَةُ هارِيِر بدأتْ تَبْكي هِي الأخْرى . قالتْ إنَّ حو كان مثْلي تمامًا . قالتْ إنَّها كانتْ تصرِّفُه ، وَقالتْ أيْضًا إنَّها كانتْ مُخْطِئَةً ، وَقالَ سيدْ ... »

قاطَعَهُ سيدْ قائلاً : « لا أظُنُّ أنَّني قُلْتُ شيْئًا . »

قالتْ ماري : « نَعَمْ ! لَقَدْ قُلْتَ ، يا سيدْ ، إنَّكَ ... »

صاحَتِ الخالَةُ : « اصْمُتي ، يا ماري ، ودعي توم يسْتمرُّ في كَلامِهِ . »

قالَ توم : « قال سيدْ إنَّني لَمْ أكُنْ دائمًا حسنًا . »

قالَتِ الخالَةُ : « كانتْ هَذِهِ كَلِماتِ سيدْ بِعَيْنِها . »

« وَقُلْتِ لَهُ أنْتِ ، يا خالَتي ، إنَّهُ لا يَجِبُ أنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ . »

رَدَّتِ الخالَةُ : « بِالطَّبْعِ فَعَلْتُ . »

وَاسْتَمرَّ توم : « وَثَمَّةَ كَلامٌ حَوْلَ طَوْفٍ وحَوْلَ النَّهْرِ . وأرَدْتُمْ جَميعًا أنْ تكونَ الجِازاتُ في يَوْمِ الأحَدِ . ثُمَّ خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ هارِيِر وَكُنْتِ لا تزالين تَبْكينَ ، يا خالَتي ، وَكانَتْ هِيَ تَبْكي أيْضًا . ثُمَّ ذَهَبْتِ إلى فِراشِكِ ، وَعِنْدَما اسْتَغْرَقْتِ في النَّوْمِ قَبَّلْتُكِ . »

« وَهَلْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ، يا توم ؟ سَأُسامِحُكَ عَلى أيِّ شَيْءٍ مُقابِلَ ذَلِكَ . »

قالَ سيدْ مُعَقِّبًا : « كانَ ذَلِكَ عَطْفًا مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ كانَ حُلْمًا ! وَلَمْ يُعَلِّقْ أكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ فَكَّرَ كَثيرًا .. إنَّهُ حُلْمٌ طَويلٌ وَلَمْ يَكُنْ فيهِ خَطَأٌ واحد . يا لَلْغَرابَةِ ! »

الفصل الخامس عشر

اثنان يَغاران

[illegible] الأولاد إلى المدرسة . وذهب [illegible] إلى منزل السَّيِّدَةِ هارير . وَهُناكَ وَصَفَتْ لها حُلْمَ توم المُدْهِشَ .

[illegible] توم [illegible] يستيقظ قبل [illegible] الآخرين ، [illegible] كان [illegible] الأخير ، وفعل ذلك لأنَّه كان قُرْصانًا ، عرفهُ كلُّ شخصٍ واقفٍ الجميعْ ، فإذا سار في الطَّريقِ [illegible] ، وكان يظنُّ أنَّه لم يسمعْ همْسَهم ، ولكن مُلاحظتهم جعلتْه يشعرُ بالفخرِ والسَّعادَةِ .

[illegible] الأولاد يسيرون على طولِ الطُّرُقِ ، وأعْجَبَ به الأطفالُ في المدرسةِ ، ولا سيَّما أعْجَبَتْهم [illegible] ما وصفَ الأولادُ [illegible] ، فتعاهدوا [illegible] إلى نهايتها [illegible] كانوا [illegible]

تَخَيُّلِ شَيْءٍ إضافيٍّ .

قرَّروا أنَّه ليس هي حاجةٍ إلى بكي لتأخر الا[illegible] كان خالاً عقيماً ، وكان ذلك كافياً له . وتظاهر بأنَّه لم يرها ، وتحرَّك بعيداً ، وحاول مع [illegible] وبَنِينَ آخرينَ . كانَتْ تَروحُ وتَجيءُ بِعَيْنَيْها [illegible] ، وكانت أخبارُ المدرسةِ [illegible] ، ثُمَّ تنظرُ في الحقائبِ وأغْمِضُ [illegible] ، ولكنَّه لم يُبْدِ أيَّ اهتمامٍ ، [illegible] كفَّت [illegible] ، وهي تنظرُ [illegible] وراح توم يتحدَّثُ إلى آمي لورانس .

ضجرت [illegible] ، وسارتْ بعيداً ، ولكنَّ صديقَيْها أعادَاها مرَّةً أخرى ، [illegible] وقفتْ تحوارُ توم فانضمَّتْ معهما بكي

صاحَتْ بكي : « ماري أوستون ! إنَّكِ بِنْتٌ سَيِّئَةٌ ! لِماذا لَمْ تَحْضُري لِلْمَدْرَسَةِ يَوْمَ الأَحَدِ ؟»

« جِئْتُ .. أَلَمْ تَرَيْني ؟»

« [illegible] ؟ أردتُ أن [illegible] عن نزهة »

رَدَّت ماري : « أيَّ نُزْهَةٍ ؟»

قالتْ بكي : « إنَّ أُمّي تُعِدُّ العُدَّةَ لِنُزْهَةٍ خَلَوِيَّةٍ ، وَيُمْكِنُ لِجَميعِ أَصْدِقائي أَنْ يَأْتوا مَعَنا . »

قالتْ ماري : « هَذا مُدْهِشٌ .. هَلْ سَتَدْعينَ كُلَّ البَناتِ وَالأَوْلادِ هُنا ؟ »

نَظَرَتْ بكي سِرًّا إلى توم وَقالتْ : « نَعَمْ .. جَميعَ أَصْدِقائي . » لَكِنَّ توم كانَ يَتَحَدَّثُ مَعَ آمي لورانس ، وَيَحكي لَها عَنِ العاصِفَةِ في الجَزيرَةِ . كُلُّ واحِدٍ ما عدا توم وآمي أَرادَ أَنْ تَدْعُوَهُ بِكي إلى النُّزْهَةِ الحَلَوِيَّةِ . وَأَخَذَ توم صَديقَتَهُ آمي بَعيداً عَنِ الآخَرينَ ، وَحَزِنَتْ بكي لِذلِكَ . وَحاوَلَتْ إِخْفاءَ مَشاعِرِها ، وَلَمْ تَعُدْ تَهْتَمُّ بِالنُّزْهَةِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَذَهَبَتْ بَعيداً لِتَبْكيَ . وَخَطَرَتْ لَها فِكْرَةٌ أُخْرى .

كانَ توم لا يزالُ يَحْكي مُغامَراتِهِ لآمي ، وَنَظَرَ سِرًّا إلى بِكي ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْها . أَيْنَ ذَهَبَتْ ؟ ثُمَّ رَآها . كانَتْ جالِسَةً عَلى مَقْعَدٍ مَعَ أَلفريد تِمْبل . كانا يَقْرَآنِ في كِتابٍ ، وَيَنْظُرانِ إلى ما فيهِ مِنْ صُوَرٍ مَعًا ، وَرَأْساهُما مُتَقارِبانِ مِنْ بَعْضِهِما بَعْضًا ، وَلَمْ يُلاحِظا أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ .

شَعَرَ توم في التَّوِّ بِغَيْرَةٍ شَديدَةٍ ، وَبَدَأَ يَكْرَهُ نَفْسَهُ . فَبِكي كانَتْ حَقيقَةً فَتاتَهُ ، وَقَدْ أَضاعَ فُرْصَةً مُناسِبَةً . وَلَمْ يَعُدْ يَسْمَعُ حَديثَ آمي

السَّعيدَ ، وَلَمْ يُجِبْ عَنْ أَسْئِلَتِها . وَسارَ الاثْنانِ مَعًا ، وَلَكِنَّهُما كانا يَتَّجِهانِ أَحْيانًا نَحْوَ المَقْعَدِ الجالِسَةِ عَلَيْهِ بِكي مَعَ زَميلِها . وَاسْتَطاعَ توم أَنْ يَرى بِكي وَأَلفريد بِسُهولَةٍ هُناكَ . وَأَلْهَبَ مَنْظَرُهُما مَعًا عَيْنَيْهِ . وَظَنَّ أَنَّ بِكي لَمْ تُلاحِظْهُ ، وَهَذا بِالطَّبْعِ جَعَلَهُ حَزينًا كاسِفَ البالِ . وَلَكِنَّها لاحَظَتْهُ سِرًّا ، وَكانَتْ فَرِحَةً ، وَعَرَفَتْ أَنَّها كانَتْ تَكْسِبُ المَعْرَكَةَ . وَاسْتَطاعَتْ أَنْ تَرى أَنَّ توم غَيْرُ سَعيدٍ .

اعْتادَ أَلفريد تِمبل أَنْ يَرْتَديَ أَحْسَنَ المَلابِسِ ؛ لِذا لَمْ يَكُنْ توم يُحِبُّهُ . وَسَرْعانَ ما ابْتَعَدَ عَنْ آمي لورانس وَكَلامِها التّافِهِ ، وَعادَ إلى بَيْتِهِ . وَانْتَهى اهْتِمامُ بِكي بِالكِتابِ الَّذي كانَتْ تَقْرَأُ فيهِ مَعَ أَلفريد في الحالِ ، وَراحَتْ تَبْكي وَأَراها أَلفريد صُورَةً أُخْرى ، لَكِنَّها رَفَضَتْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْها ، وَصاحَتْ فيهِ : « إِلَيْكَ عَنّي ! إِنَّني أَكْرَهُكَ ! »

غَضِبَ أَلفريد غَضَبًا شَديدًا مِنْ بِكي ؛ لأَنَّهُ عَرَفَ السَّبَبَ جَيِّدًا ؛ فَقَدِ اسْتَخْدَمَتْهُ بِكي لِتُغْضِبَ توم . وَكانَ أَلفريدُ يَكْرَهُ توم دائِمًا ، وَمِنْ تِلْكَ اللَّحْظَةِ اشْتَدَّتْ كَراهِيَتُهُ لَهُ عَنْ ذي قَبْلُ . وَأَرادَ أَنْ يُسيءَ إلى توم ، فَراحَ يَسيرُ عَلى غَيْرِ هُدًى في المَدْرَسَةِ وَحْدَهُ وَهُوَ غاضِبٌ . وَعَثَرَ في حُجْرَةِ الدُّروسِ عَلى أَحَدِ دَفاتِرِ توم ، وَكانَ يَحْتَوي عَلى قَوائِمَ مِنَ الكَلِماتِ اسْتُخْدِمَتْ لِتَعَلُّمِ التَّهَجّي .

وكانت هذه فرصته الوحيدة ؛ فقد انتظر حتى انتهت الأم من تحميل تاريخ اليوم ، ثم سكب بعض الحبر عليها .

في تلك اللحظة كانت بكي تنظر من خلال النافذة ، فرأت ألفريد ولكنها لم تقل أي شيء ، وقررت الذهاب إلى منزلها وكان يمكنها أن تخبر توم عن الحبر الذي انسكب على دفتره ، ولكنها غيرت رأيها قبل أن تصل إلى بيتها . تذكرت أمي لوراس وتذكرت الدعوة للنزهة . وفكرت في أن توم لم يهتم بخبر النزهة الحلوة وملأتها هذه الذكرى بالحقد ؛ فقالت لنفسها : « سأكرهه إلى الأبد ! وسوف يضربه الناظر عندما يرى الحبر ، وأنا مسرورة لأنه سيفعل به ذلك . »

عندما عاد توم إلى منزله وجد حالته عاصية للعقاب ، فسألها : « ما الذي فعلته الآن ؟ »

أجابته : « رويت لي حلماً ، وذهبت إلى السيدة هاربر لأحكيه لها ، ولكنها كانت تعلم أنك كنت هنا حقيقة في تلك الليلة قال لها جو إنه لم يكن حلماً . فما الذي سيفعله في السيدة هاربر الآن ؟ ستظن أن لي عقل طفلة ، وكل ذلك بسبب حلمك يا توم . »

شعر توم بالحزن ، وقال : « لم أفكر في هذا الأمر ، يا خالتي

لكني في ذلك الوقت حقاً لأعمل [illegible] حسناً لكنك كنت تحتاج أن أقول [illegible] »

أجابته : « أرجوك ، يا توم ، لا تكذب عليّ . »

« لم تكن كذبة ، يا خالتي . كنت حزينة ، وكنت أنا آسفاً . وبعدها لم أحتج [illegible] وأردت أن أنصت . »

« هل قبلتني حقيقة ، يا توم ؟ »

« نعم ، يا خالتي ، قبلتك . »

« لماذا قبلتني ؟ »

« لأني أحبك ، وكنت أنت غير سعيدة ، وكنت آسفاً »

الفصل السادس عشر

نُبل تَصرُّفِ توم

كانَ توم في حالةٍ أسْعَدَ عِنْدَما عادَ إلى المَدْرَسَةِ وَبَدا لَهُ أنَّ خالَتَه أصْبَحَتْ تُحِبُّهُ أكْثَرَ وَأكْثَرَ . وَفي طَريقِهِ إلى المَدْرَسَةِ لَقِيَ بِكي .

قالَ توم : « لَقَدْ تَصَرَّفْتُ بِطَريقَةٍ سَيِّئَةٍ اليَوْمَ فَمَعْذِرَةً . إنّي آسِفٌ ، يا بِكي . لَنْ أفْعَلَ ذَلِكَ ثانِيَةً أبَداً . »

نَظَرَتْ بِكي إلى وَجْهِهِ بِكِبْرِياءَ ثُمَّ قالَتْ : « أرْجوكَ أنْ تَعْرُبَ عَنْ وَجْهي ، يا سَيِّدُ توماس سويرْ . » ثُمَّ قالَتْ بِهُدوءٍ : « لَنْ أتَحَدَّثَ مَعَكَ مَرَّةً ثانِيَةً . »

لَمْ يَفُهْ توم بِكَلِمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ كانَ غاضِباً غَضَباً شَديداً . وَقابَلَها مَرَّةً أخْرى في المَدْرَسَةِ وَأبْدى مُلاحَظَةً قاسِيَةً ؛ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ بِحِدَّةٍ وَبِنَظْرَةٍ عَنيفَةٍ . كانَتْ عاضِبَةً جِدًّا . وَأوْشَكَ مَوْعِدُ حِصَّةِ التَّهَجّي

سُرَّتْ كَثيراً لِوُجودِ الحِبْرِ على إحْدى صَفَحاتِ دَفْتَرِهِ . وَتَوَقَّعَتْ أنَّ يَضْرِبَهُ السَّيِّدُ دوبنز ضَرْباً مُوجِعاً ، لَكِنَّ الإزْعاجَ كانَ في طَريقِهِ إلى الفَتاةِ نَفْسِها ؛ فالسَّيِّدُ دوبنز كانَ يُريدُ دائِماً أنْ يُصْبِحَ طَبيباً ، وَكانَ يَعْرِفُ شَيْئاً عَنِ الطِّبِّ . وَفي أثْناءِ أداءِ التَّلاميذِ لِواجِباتِهِمْ في الفَصْلِ كانَ يَقْرَأُ كِتاباً أحْياناً . وَلَمْ يَعْرِفْ أحَدٌ اسْمَ هذا الكِتابِ وَلَكِنْ أرادَ كُلُّ واحِدٍ أنْ يَعْرِفَهُ . وَكانَ دائِماً يَضَعُهُ في مَكْتَبِهِ ، وَيُغْلِقُ عَلَيْهِ . لِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أحَدٌ اسْمَ الكِتابِ .

لَكِنْ عِنْدَما كانَتْ بِكي تَمُرُّ بِمَكْتَبِ النّاظِرِ لاحَظَتْ شَيْئاً : كانَ المِفْتاحُ في المَكْتَبِ ، وَكانَتْ لَحْظَةً مُذْهِلَةً ! تَلَفَّتَتْ حَوْلَها ، وَكانَتْ وَحْدَها . وَبِشَجاعَةٍ فَتَحَتْ دُرْجَ المَكْتَبِ ، وَأخْرَجَتِ الكِتابَ ، وَقَرَأَتْ عُنْوانَهُ « الطِّبُّ الحَديثُ » تأليفُ أحَدِ الأطِبّاءِ . وَبَدَأَتْ تَقْرَأُ ، لَكِنَّ ظِلّاً سَقَطَ على الصَّفَحاتِ . وَعِنْدَما نَظَرَتْ رَأَتْ توم سوير ، فَأغْلَقَتِ الكِتابَ بِسُرْعَةٍ ، لَكِنَّها كانَتْ قَدْ مَزَّقَتْ بِصْعَةً من الوَسَطِ . وَكانَ ذَلِكَ حَقيقَةً شَيْئاً فَظيعاً . لَقَدْ مَزَّقَتْ كِتابَ النّاظِرِ السِّرِّيِّ ! ثُمَّ وَضَعَتِ الكِتابَ في المَكْتَبِ وَأدارَتِ المِفْتاحَ . وَبَدَأَتْ تَبْكي مِنَ الخَجَلِ الَّذي لَحِقَ بِها .

صاحَتْ بِكي : « توم سوير ، إنّي أكْرَهُكَ . إنَّكَ ستقولُ لِلسَّيِّدِ دوبنز ؛ أ لَيْسَ كَذلِكَ ؟ ماذا أفْعَلُ الآنَ؟ ماذا أفْعَلُ ؟ إنَّهُ لَمْ

[illegible]

[illegible]

؟ لَمْ أَفْشِ الأمر لروبر المحور . لكنَّهُ سَيَكْتَشِفُ الأَمْرَ بِسُهولَةٍ
[illegible] لكي [illegible] دائماً عن الحقيقة
لكِنْ لا يُهِمُّني الأَمْرُ .»

غَيْرَ أَنَّهُ انْزَعَجَ في الفَصْلِ عِنْدَما رَأَى وَجْهَ بِكي القَلِقَ
[illegible] وفي الحال
[illegible]

[illegible] الحق على دفتره . لكنَّ [illegible] لم
[illegible] . رقصت بكي الصارخ ، لكنَّها لم
[illegible] حصة . وأرادت أن تُخبِرَ توم بما فَعَلَه ألفريد بِدَفْتَرِهِ ،
لكنَّها [illegible] وفكَّرت [illegible] توم إلى مزق كتاب
النَّاظِرِ . لَنْ أقولَ كَلِمَةً واحِدَةً عَنِ الخِبْرِ .»

ومرَّتْ ساعةٌ وكان النَّاظرُ يشعُرُ بالتَّعاسةِ ، ولكنَّهُ فتح دُرْجَ مكتبِه ، وأخرج الكتاب وبدأ يقرأ . ولَمْ يعرفْ أنَّ تلاميذَ كان يُراقِبانِهِ باهْتِمامٍ .

كان الحُزْنُ مُرْتَسِماً بوُضوحٍ على وجْهِ بكي لأنَّ توم نسي شجارَهُ معها . فما الذي يستطيعُ عملَهُ لِيساعدَها ؟ أراد أن يذهبَ نحوَ النَّاظرِ ويخطفَ الكتاب منهُ ، ولكنَّ الوقتَ كان قد تأخَّرَ في تلكَ اللَّحْظَةِ . كان الكتابُ مفتوحاً ، والنَّاظرُ ينظرُ بغضبٍ إلى التَّلاميذِ .

تساءل النَّاظرُ بلهْجةٍ آمرةٍ : « من الذي مزَّقَ هذا الكتاب ؟»

ران الصَّمْتُ ولَمْ يصْدُرْ أيُّ صوْتٍ في الغُرْفةِ . نظر النَّاظرُ في كُلِّ وَجْهٍ ، ثُمَّ صَرَخَ : « بنيامين روجرز ، هَلْ مَزَّقْتَ هَذا الكتاب ؟»

« لا ، ياسَيِّدي .»

« جوزيف هارپر ، هَلْ مَزَّقْتَهُ ؟»

ردَّ جو : « لا ، يا سَيِّدي .»

لَمْ يُعجبْ ذلك توم . واستدار النَّاظرُ ناحية البنات وصاح

« آمي لورانس ، هَلْ مَزَّقْتِ الكِتابَ ؟»

« لا ، يا سَيِّدي .»

« جريسي ميللر ، هَلْ مَزَّقْتِهِ؟»

« لا ، يا سَيِّدي .»

« بكي ثاتشر ، هَلْ مزَّقْتِ .. لا انْظري في وَجْهي .. هَلْ مَزَّقْتِ الكِتاب ؟» ونَظَر توم إلى وجْهها ، وَكان مُمْتقِعاً مِنَ الخوْف . وَحطَرتْ بِرأس توم فِكْرَة ، فَقفزَ مِنْ مكانِه وصَرَخَ : « أنا الَّذي مَزَّقْتُهُ .»

دهشَ تلاميذُ وتلْميذاتُ المدْرسَة ، وَ وَقَف توم بُرْهةً ثُمَّ تقدَّم إلى الأمام . وَلاحَظ عَيْني بِكي وَأحبَّها . رَأى أنَّها سعيدَة ، وَرَأى أكْثَر مِنْ ذَلِكَ . استَطاع أنْ يَرى أنَّها تُحبُّهُ . وضرَبَ النَّاظِرُ توم ضَرْبًا مُوجِعًا ، وَأمَرَهُ ألا يَذْهَبَ إلى مَنْزله بَعْدَ المدْرَسَة . وَكانَ عَلَيْهِ أنْ يَمْكُثَ بالمَدْرَسَةِ لِمُدَّةِ ساعَتَيْن إضافِيَّتَيْن. وَلَكِنَّ توم لَمْ يَهْتَمَّ بِالأمْرِ كثيرًا .

فَكَّرَ توم : « إنَّها سوْفَ تنْتَظِرُني . مِنَ المؤكَّدِ أنَّها ستَنْتَظِرُني .»

وَبعْدَ السَّاعَتَيْنِ كانَتْ بِكي هُناكَ في انْتظارِه . وقالَتْ لِتوم كُلَّ

شيْءٍ عنْ ألفريد ، ثُمَّ قالَتْ . « توم ، إنَّك مُدْهِشٌ ! كيْف أصْبَحْتَ نَبيلاً عَلى هذا النَّحْو ؟»

الفصل السابع عشر

نِهايَة الفَصْلِ الدِّراسِيِّ

عِنْدَما أَصْبَحَ الفَصْلُ الدِّراسِيُّ قريباً مِنْ نهايَتِهِ ، جَعَلَ السَّيِّدُ دوبنز التِّلاميذَ يَعْملونَ بِجِدٍّ وَاجْتهادٍ . وَكانَ يَضْرِبُهُمْ إذا لَمْ يَعْملوا بِجِدٍّ كافٍ . وَأَغْضَبَ ذَلِكَ الأَوْلادَ ، وَقَرَّروا أَنْ يَطْلوا رَأْسَ النَّاظِرِ بِالطِّلاءِ . وَكانَ السَّيِّدُ دوبنز قَدْ فَقَدَ شَعْرَ رَأْسِهِ جَميعَهُ ، لَكِنَّهُ كانَ يُغَطِّي رَأْسَهُ بِشَعْرٍ مُسْتعارٍ . وَكانَ قَدْ أَجَّرَ غُرْفَةً في بَيْتِ رَسَّامٍ حَيْثُ عاشَ فيها مَعَ زَوْجَتِهِ ، لَكِنَّها سافَرَتْ لِوَقْتٍ قَصيرٍ وَتَرَكَتْهُ وَحيداً .

وَناقَشَ التِّلاميذُ الأَمْرَ مَعَ ابْنِ الرَّسَّامِ ، فَوافَقَ عَلى أَنْ يَطْلِيَ رَأْسَ السَّيِّدِ دوبنز . وَكانَ السَّيِّد دوبنز يَنامُ أَحياناً في مَقْعَدِهِ ، وَيُمْكِنُ لابْنِ الرَّسَّامِ أَنْ يُنْجِزَ لَهُمُ العَمَلَ الَّذي اتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ ، فَوافَقَ أَنْ يُتِمَّ العَمَلَ قَبْلَ نِهايَةِ الفَصْلِ الدِّراسِيِّ . وَفي اليَوْمِ الأَخيرِ مِنْهُ يُمْكِنُ لِلأَوْلادِ أَنْ يَنْعَموا بِالضَّحِكِ كَثيراً

وَحاءَت الأُمْسِيَّةُ العَظيمَةُ . وَفي الثامِنَةِ كانَ النَّاظِرُ جالِساً في مَقْعَدِهِ الكَبيرِ ، وَمِنْ خَلْفِهِ السَّبّورَةُ . وَكانَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ سُكّانِ القَرْيَةِ في الحُجْرَةِ ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ أَوْلياءُ أُمورِ الطَّلَبَةِ وَآباؤُهُمْ وَأُمَّهاتُهُمْ ، لَكِنَّ بَعْضَ النّاسِ المُهِمّينَ كانوا هُناكَ أَيْضاً . وَكانَ التِّلاميذُ جَميعاً قَدِ ارْتَدَوْا مَلابِسَ نَظيفَةً ، لَكِنَّها لَمْ تَبْدُ مُريحَةً ، عَلى حينَ جَلَسَتِ البَناتُ وَالسَّيِّداتُ الشّابّاتُ وَقَدِ ارْتَدَيْنَ مَلابِسَ جَميلَةً فاخِرَةً .

وَقَفَ وَلَدٌ صَغيرٌ جِدًّا ، وَسارَ إلى المَسْرَحِ . وَاسْتَدارَ لِيَنْظُرَ لِلنّاسِ وَشَرَعَ يَقولُ : « لَسْتُ مُتَقَدِّماً في السِّنِّ ، وَلَكِنّي سَأُدْهِشُكُمْ عَلى خَشَبَةِ المَسْرَحِ . »

وَراحَ يَحْكي قِصَّتَهُ كَأَنَّهُ آلَةٌ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَ إلى النِّهايَةِ جَلَسَ وَهُوَ في غايَةِ السُّرورِ . ثُمَّ وَقَفَتْ بِنْتٌ صَغيرَةٌ وَحَكَتْ قِصَّةً أُخْرى ، وَصَفَّقَ الحاضِرونَ ، وابْتَسَمَتْ لَهُمْ . وَكانَتْ غايَةً في السَّعادَةِ عِنْدَما عادَتْ إلى مَكانِها وَجَلَسَتْ عَلى مَقْعَدِها .

بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ توم سوير مِنْ مَكانِهِ لِيَقومَ بِواجِبِهِ . قالَ لِلنّاسِ حَقيقَةً هامَّةً ، وَكانَتِ هَذِهِ الحَقيقَةُ هِيَ أَنْ يَكونَ حُرًّا أَوْ يَموتَ . وَبَدا أَنَّهُ غاضِبٌ بِسَبَبِ تِلْكَ الحَقيقَةِ ، وَلَوَّحَ بِذِراعَيْهِ بِشِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفَ فَجْأَةً . وَسَقَطَتِ الذِّراعانِ الغاضِبَتانِ عَلى جانِبَيْهِ ، وَارْتَعَشَتْ رُكْبَتاهُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّنَفُّسَ كَما يَنْبَغي ، ثُمَّ وَقَفَ

بِصُعوبَةٍ بالغَةٍ . وَبَدَتْ لَهُ الغُرْفَةُ وَكَأَنَّها تَدورُ بِهِ وَتَدورُ . وَرانَ صَمْتٌ مُطْبِقٌ على القاعَةِ ، وبدا الغَضَبُ على وَجْهِ النّاظِرِ ، وَتَمَنّى تومِ بِصَمْتٍ أَنْ يَتَحَرَّرَ أَوْ يَموتَ ، وَجَلَسَ . لَقَدْ فَشِلَ .

وَبَعْدَهُ وَقَفَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِن الأَوْلادِ لِيَقْرَءُوا أو لِيَتَكَلَّموا . وَقامَتِ البناتُ أَيْضاً بِأَداءِ أَدْوارِهِنَّ . تَكَلَّمَ بَعْضُهُنَّ بِطَريقَةٍ جَيِّدَةٍ ، لَكِنَّ أَجْزاءً كَثيرَةً مِن الشِّعْرِ كانَتْ طَويلَةً . وَظَهَرَتْ سَيِّدَةٌ بِعَيْنَيْنِ سَوْداوَيْنِ ، وَقَرَأَتْ مَوْضوعاً طَويلاً بِالإِنْجليزِيَّةِ عَنْ فَتاةٍ جَميلَةٍ في عَشْرِ صَفَحاتٍ كامِلَةٍ ، وَلَكِنَّ أَحَداً لَمْ يَهْتَمَّ بِما كانَتْ تَقْرَؤُهُ .

بَعْدَ ذَلِكَ نَهَضَ السَّيِّدُ دوبنز بِنَفْسِهِ ، وَكانَ يَبْتَسِمُ لأَنَّ تَلاميذَهُ أَحادوا وَأَرْصَوْهُ . وَذَهَبَ إِلى السَّبُّورَةِ ، وَبَدَأَ يَرْسُمُ خَريطَةً لأَمريكا ، لَكِنَّ يَدَهُ كانَتْ تَرْتَعِشُ ، وَبَدَأَ النّاسُ يَضْحَكونَ لأَنَّ الخُطوطَ الَّتي رَسَمَها لَمْ تَكُنْ صَحيحَةً أَوْ دَقيقَةً . وَظَهَرَتِ الخُصوطُ الَّتي أَحْدَثَها الطَّباشيرُ فَوْقَ السَّبُّورَةِ غَيْرَ واضِحَةٍ تَماماً . وَمَحا السَّيِّدُ دوبنز بَعْضَ هذه الخُطوطِ مِن السَّبُّورَةِ . وَحاوَلَ مَرَّةً أُخْرى وَلَكِن ازْدادَ الأَمْرُ سُوءاً ، وَأَصْبَحَتِ الخَريطَةُ في حالَةٍ يُرْثى لَها، لَكِنَّهُ كانَ مُصَمِّماً وَعَمِلَ بِجِدٍّ وَاجْتِهادٍ وَتَرَكَّزَتْ جَميعُ العُيونِ عَلَيْهِ ، وَكانَ لا يَزالُ كُلُّ شَخْصٍ في القاعَةِ يَضِجُّ بِالضَّحِكِ .

وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ قِطَّةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ ، وَأَخَذَتْ تَهْبِطُ إِلى الأَرْضِ بِبُطْءٍ

وَهِيَ مَرْبوطَةٌ في طَرَفِ خَيْطٍ . وَكانَ هَذا الهُجومُ قَدْ دَبَّرَهُ صَبِيٌّ في الغُرْفَةِ ؛ فَقَدْ رَبَطَ قِطْعَةَ قُماشٍ حَوْلَ فَمِ القِطَّةِ حَتَّى لا تَموءَ أَوْ تُصْدِرَ صَوْتًا .

وَامْتَلأَتِ الغُرفَةُ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالأَصْواتِ . وَكانَ الجَميعُ يَضْحَكونَ بِصَوْتٍ عالٍ . وَهَبَطَتِ القِطَّةُ بِبُطْءٍ فَوْقَ رَأْسِ النّاظِرِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَها ؛ فَقَدْ كانَ مَشْغولاً بِالخَرْيطَةِ . وَأَصْبَحَتِ القِطَّةُ قَريبَةً مِنْ شَعْرِهِ المُسْتَعارِ . وَكانَتِ غاضِبَةً جِدًّا لِضيقِها مِنْ وَضْعِها هَذا الغَريبِ . وَأَخيرًا وَصَلَتِ القِطَّةُ إِلى الشَّعْرِ المُسْتَعارِ وَجَذَبَتْهُ مِنْ فَوْقَ رَأْسِ النّاظِرِ .

تَصَرَّفَ الصَّبِيُّ في الغُرْفَةِ الَّتي تَعْلو غُرْفَةَ الاحْتِفالِ عَلى الفَوْرِ ، فَجَذَبَ القِطَّةَ إِلى أَعْلى مَرَّةً أُخْرى بِسُرْعَةٍ . لَكِنْ كانَ كُلُّ إِنْسانٍ يَنْظُرُ وَيُحَمْلِقُ في رَأْسِ النّاظِرِ وَلَمْ يَهْتَمَّ أَحَدٌ بِالقِطَّةِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَكانَتِ الرَّأْسُ تَلْمَعُ تَحْتَ الضَّوْءِ ، لَكِنَّ لَوْنَها لَمْ يَكُنْ مَألوفًا . فَقَدْ دَهَنَها ابْنُ الرَّسّامِ ، وَكانَ لَوْنُها بِلَوْنِ الذَّهَبِ .

وَبِهَذا انْتَهى الفَصْلُ الدِّراسِيُّ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ ، وَبَدأَتِ الإِجازَةُ .

الفصل الثامن عشر

مُحاكَمة ماف بوتَر

مَرَّتِ الأَيّامُ بِبُطْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِتوم سوير . وَكانَتْ بكي ثاتشر قَدْ سافَرَتْ مَعَ والِدَيْها لِقَضاءِ إِجازَةٍ في مَدينَةِ قُسْطَنْطيوبل ، إِحْدى مُدُنِ أَمْريكا ، وَلَمْ يَعُدْ توم يَراها .

وَلَمْ يَنْسَ توم جَريمَةَ قَتْلِ الطَّبيبِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ هَذا الأَمْرُ قَلِقًا . ثُمَّ كانَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْكُثَ في الفِراشِ لِمُدَّةِ أُسْبوعَيْنِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ . وَفيما بَعْدُ مَرِضَ مَرَّةً أُخْرى وَفي هَذِهِ المَرَّةِ مَكَثَ في الفِراشِ ثَلاثَةَ أَسابيعَ . وَكانَتْ حَياةُ توم في ذَلِكَ الوَقْتِ غَيْرَ سَعيدَةٍ .

مَرَّ عَلى وُجودِ ماف بوتَر في السِّجْنِ وَقْتٌ طَويلٌ . وَكانَ مَوْعِدُ مُحاكَمَتِهِ قَدِ اقْتَرَبَ ، وَلَمْ يَنْسَ توم السِّرَّ الرَّهيبَ . وَارْتَعَشَ عِنْدَما سَمِعَ النّاسَ يَتَحَدَّثونَ عَنْ جَريمَةِ القَتْلِ ، فَقَدْ كانوا يَظُنّونَ أَنَّ ماف بوتَر كانَ مُذْنِبًا . وَقالَ لِنَفْسِهِ : « لَعَلَّ الجَميعَ سَيَظُنّونَ نَفْسَ الظَّنِّ

في المحاكمة !»

وقرّر توم أنْ يتناقش بشأنِ هذهِ الجريمةِ معَ هاكلبري ، فذهب معهُ إلى مكانٍ منعزلٍ وسألهُ : « هلْ سبق أنْ قُلتَ لأيِّ شخصٍ عنْ الجريمة ، يا هاك ؟»

أجابَ : « بالطبعِ لمْ أفعلْ .»

« ولا كلمةً واحدةً؟»

« ولا كلمةً .. لماذا تسألُ ؟»

قالَ توم : « لأنني خائفٌ .»

قال هاكلبري : « إذا اكتشف رد جو الأمر فسيقتلك ، يا توم سويرْ ، وأنتَ تعرفُ أنَّ رد جو سيقتلكَ . وعندما تكونُ ميتًا فإنكَ لنْ تستطيعَ الكلامَ »

قال توم : « نحنُ في مأمنٍ إذا لمْ نقلْ شيئًا . هلْ نتعاهدُ مرّةً أخرى ؟»

وتعاهد الاثنانِ ألا يقولا شيئًا ، واستخدما كلماتٍ مخيفةً ثمّ أصبحا أكثرَ سعادةً بعدَ ذلكَ .

قال توم : « إنَّ كلَّ شخصٍ هنا يظنُّ أنَّ ماف هوَ الذي قتلَ الطبيبَ .»

« نعمْ ، إنَّهُ ماف بوتر دائمًا . إنهم جميعًا يتكلّمونَ عنْ ماف . وأنا أكرهُ هذا الأمرَ . أحيانًا أريدُ أنْ أهربَ بعيدًا وأختفيَ .»

سألهُ توم : « ألا تشعرُ بالأسفِ أحيانًا منْ أجلِ ماف ؟»

أجاب هاكلبري : « أشعرُ بالأسفِ دائمًا ، فهوَ لمْ يفعلْ أيَّ شيءٍ ليضرَّ أيَّ شخصٍ . إنَّهُ يصطادُ السمكَ للحصولِ على المالِ . إنَّهُ يبيعُ السمكَ ثمَّ يشتري بثمنهِ ما يحتاجهُ . أعطاني مرّةً نصفَ سمكةٍ .»

قالَ توم : « ألا يمكننا إخراجهُ من السجنِ ، يا هاك ؟»

« لا نستطيعُ ، يا توم . وإذا فعلنا فسوفَ يقبضونَ عليهِ مرّةً أخرى »

استمرَّ الولدانِ يتحادثانِ لبعضِ الوقتِ ، لكنَّهما لمْ يجدا راحةً، فدهبا إلى السجنِ وتكلّما مع ماف منْ خلالِ النافذةِ . وأثنى ماف على الولدينِ وشكرهما قائلاً : « إنكما بعمَ الصديقانِ لي ، وأنتما عزاءٌ وراحةٌ لي في محنتي .»

وعادَ توم إلى بيتهِ . وكانتْ أحلامهُ في تلكَ الليلةِ مليئةً بأشياءَ مرعبةٍ . وفي اليومِ التالي ذهبَ إلى المحكمةِ ، وانتظرَ بالقربِ منها. وكانتْ محاكمةُ بوتر قدْ بدأتْ داخلَ المحكمةِ . كما كانَ قريبًا

مِنَ المَحْكَمَةِ أَيْضاً في اليَوْمِ التّالي . وَكانَ هاكِلْبِري هُناكَ هُوَ الآخَرُ ، وَلَكِنَّ الاثْنَيْنِ لَمْ يَلْتَقِيا . وَعِنْدَما رأى أَحَدُهما الآخَرَ تحاشى مُقابَلَتَهُ . وَفي نِهايَةِ اليَوْمِ الثّاني ، صَدَّقَ جَميعُ النّاسِ رد جو ، فَقَدْ كانَ يَقولُ دائِماً نَفْسَ الشَّيْءِ ، وَلَمْ تَتَغَيَّرْ كَلِماتُهُ مُطْلَقاً . قال إنَّ بوتر قَتَلَ الطَّبيبَ .

وَعادَ توم إلى بَيْتِهِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ مُتَأَخِّراً جِدًّا ، فَأَحْداثُ المَساءِ أَثارَتْهُ ، وَلَمْ يَنَمْ لِعِدَّةِ ساعاتٍ . وَفي اليَوْمِ التّالي كانَتِ المَحْكَمَةُ مُزْدَحِمَةً بِالنّاسِ ؛ فَقَدْ كانَ يَوْمَ الأَحْداثِ الهامَّةِ . وَعِنْدَما جاءوا بِماف بوتر إلى داخِلِ المَحْكَمَةِ ، كانَ وَجْهُهُ شاحِباً وَتَكْسوهُ عَلاماتُ اليَأْسِ . وَكانَ هُناكَ رد جو ، الَّذي اعْتادَ أَنْ يَحْضُرَ المُحاكَمَةَ مِنْ قَبْلُ .

قالَ أَحَدُ الرِّجالِ : « رَأَيْتُ بوتر وَهُوَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ في الغَديرِ ، وَكانَ ذلِكَ في يَوْمِ ارْتِكابِ جَريمَةِ القَتْلِ ، وَعِنْدَما انْتَهى غادَرَ المَكانَ سِرًّا . » وَأَدْلى رَجُلٌ آخَرُ بِمَعْلوماتٍ عَنْ سِكّينِ بوتر فقالَ : « إنَّها كانَتْ بِجِوارِ الجُثَّةِ في المَدافِنِ . » وَلَمْ يُدافِعْ أَحَدٌ عَنْ ماف بوتر . كانَ كُلُّ شَيْءٍ ضِدَّهُ . وَبَدَتِ القَضِيَّةُ واضِحَةً ، لَكِنْ فَجْأَةً صاحَ صَوْتٌ : « نادوا عَلى توماس سوير . » وَدَهِشَ كُلُّ شَخْصٍ في المَحْكَمَةِ عِنْدَ سَماعِهِ اسْمَ توماس سوير ، حَتّى بوتر نَفْسُهُ أَخَذَتْهُ

الدَّهْشَةُ . وَلَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ أَنْ يَرى توم سوير هُناكَ . وَبَدَأَ النّاسُ يَتَساءَلونَ : « ما الَّذي يَعْرِفُهُ عَنْ جَريمَةِ القَتْلِ ؟ »

وَقَفَ توم في مَكانِهِ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ كُلُّ شَخْصٍ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ . سَمِعَ صَوْتاً يَسْأَلُهُ سُؤالاً ، وَحاوَلَ أَنْ يُفَكِّرَ بُوضوحٍ : « توماس سوير ، أَيْنَ كُنْتَ في لَيْلَةِ السّابِعَ عَشَرَ مِنْ يونيه ؟ »

رَأى توم وَجْهَ رد جو في المَحْكَمَةِ وَلَمْ يَسْتَطِعِ الكَلامَ . وَانْتَظَرَ كُلُّ واحِدٍ في المَحْكَمَةِ بِصَمْتٍ ، وَلَكِنْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ فَمِ توم أَيَّةُ كَلِماتٍ . وَفَجْأَةً شَعَرَ أَنَّ بِإمْكانِهِ الكَلامَ فَقالَ بِهُدوءٍ : « كُنْتُ في المَدافِنِ . »

« اِرْفَعْ صَوْتَكَ مِنْ فَضْلِكَ وَلا تَخَفْ ، يا فَتى . »

أَعادَ توم ما قالَهُ : « كُنْتُ في المَدافِنِ . »

وَعَبَرَتِ ابْتِسامَةٌ بِوَجْهِ رد جو .

« هَلْ كُنْتَ بِالقُرْبِ مِنْ قَبْرِ هورس ويليامز ؟ »

قالَ توم : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي . »

« إلى أَيَّةِ مسافَةٍ كُنْتَ قريباً مِنَ القَبْرِ ، يا سوير ؟ »

« تماماً كما أَنا قَريبٌ مِنْكَ الآنَ . »

« هَلْ كُنْتَ مُخْتَفِياً أَمْ لا ؟ »

رَدَّ توم : « كُنْتُ مُخْتَفِيًا . »

« أَيْنَ ؟ »

قالَ توم : « خَلْفَ الأَشْجارِ بِالقُرْبِ مِنَ القَبْرِ . »

كانَ توم يَتَكَلَّمُ بِوُضوحٍ في ذَلِكَ الوَقْتِ ، وكانَ رد حو يَنْظُرُ بِدَهْشَةٍ وَقَلَقٍ .

وَاسْتَمَرَّت الأَسْئِلَةُ : « هَلْ كانَ مَعَكَ أَيُّ شَخْصٍ في المَدافِنِ ؟ »

« نَعَمْ ، يا سَيِّدي . ذَهَبْتُ مَعَ ... »

« انْتَظِرْ لَحْظَةً ! لا تَذْكُرْ اسْمَ صَديقِكَ . ما الَّذي رأيتَهُ في المَدافِنِ ؟ قُلْ لَنا ذَلِكَ فَقَطْ . »

بَدأَ توم الكَلامَ بِبُطْءٍ ، لَكِنْ سرْعانَ ما راحَ يَتَكَلَّمُ بِطَلاقَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ أَيُّ صَوْتٍ آخَرَ . وَحَكَى توم قِصَّتَه جَيِّدًا ، حَتَّى وصل إلى نِهايَتِها وَقالَ : « ضَرَبَ الطَّبِيبُ السَّيِّدَ بوتر بِلَوْحٍ خَشَبِيٍّ فَسَقَطَ بوتر عَلى الأَرْضِ ، وَقَفَزَ رد جو بالسِّكِّين ، ثُمَّ غَرَسَ السِّكِّينَ ... »

لَكِنَّ رد جو لَمْ يَنْتَظِرْ لِيَسْمَعَ نِهايَةَ القِصَّةِ ، بَلْ قَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ في قاعَةِ المَحْكَمَةِ ، وَجَرى نَحْوَ النّافِذَةِ المَفْتوحَةِ . وأَوْقَعَ كُلَّ شَخْصٍ كانَ في طَريقِهِ ، وَقَفَزَ مِنَ النّافِذَةِ ، واخْتَفى عَلى إِثْرِ ذَلِكَ .

أصبَحَ توم رَجُلاً مُهِما مَرَّةً أخرى ، وَتكَلَّمَ كُلُّ واحِدٍ عَنْهُ . وَكانَتْ أيّامُهُ مُدْهِشَةً ، لكِنَّ لَيالِيَهُ كانَتْ مُفْزِعَةً . لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَنْسى رد جو . كانَ الرَّجُلُ حُرًّا طَليقاً . رُبَّما يَكونُ مُنْتَظِراً توم . وَيُمْكِنُهُ أنْ يَقْتُلَ توم في أيَّةِ لَيْلَةٍ في الظَّلامِ . وَلَمْ يَشَأ توم أنْ يَخْرُجَ في اللَّيْلِ .

وَكان هاكِلْبِري خائِفاً هُوَ الآخَرُ بِسَبَبِ دَوْرِ توم في القَضِيَّةِ . لَقَدْ وَعَدَ توم مِنْ قَبْلُ ألا يَقولَ شَيْئاً ، ثُمَّ ذَهَبَ إلى المَحْكَمَةِ وَقالَ لِلْجَميعِ عَمّا حَدَثَ

وَقالَ هاكِلْبِري لِنَفْسِهِ : « رُبَّما قالَ لِشَخْصٍ عَنّي أنا أيْضاً ! كَيْفَ لي أنْ أعْرِفَ ؟»

وَشَكَرَ ماف بوتر الصَّبِيَّ توم لِمُساعَدَتِهِ . وَأصبَحَ ماف حُرًّا ؛ إذْ أطْلِقَ سَراحُهُ في الحالِ . وَلَكِنْ لَمْ يَعْثُرْ أحَدٌ عَلى رد جو . وَكانَ المَأمورُ يَبْحَثُ باسْتِمْرارٍ عَنْهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَهُ أيُّ إنْسانٍ ؛ فأينَ ذَهَبَ؟ وَمَرَّتِ الأيّامُ ، وَلَكِنَّ رد جو لَمْ يَعُدْ . وَبَدَأ توم يَفْقِدُ خَوْفَهُ ، وَفارَقَتْ وَجْهَهُ نَظْرَةُ الخَوْفِ وَالذُّعْرِ.

الفصل التاسع عشر

تَحْتَ الشَّجَرَةِ المَيِّتَة

العُثورُ عَلى كَنْزٍ في الأرْضِ هُوَ حُلْمُ كُلِّ فَتًى . وَكانَ ذَلِكَ واحِداً مِنْ أحْلامِ توم أيْضاً . وَذاتَ يَوْمٍ قالَ لِهاكِلْبِري إنَّهُ يُريدُ أنْ يَحْفِرَ الأرْضَ بَحْثاً عَنْ كَنْزٍ ، وَ وافَقَهُ هاكِلْبِري قائِلاً : « إنَّها فِكْرَةٌ رائِعَةٌ ، فَأيْنَ سَنَحْفِرُ الأرْضَ ؟»

أجابَهُ توم : « يُمْكِنُنا أنْ نَحْفِرَ في أيِّ مَكانٍ .»

« هَلْ يُخْفي النّاسُ كُنوزَهُمْ في أيِّ مَكانٍ ؟»

« لا ، إنَّهُمْ يُخَبِّئونَها في أماكِنَ خاصَّةٍ ؛ فَالقَراصِنَةُ يُخَبِّئونَ كُنوزَهُمْ في الجُزُرِ . وَيُخْفيها بَعْضُ الرِّجالِ في صَناديقَ تَحْتَ الأرْضِ . وَآخَرونَ يُخْفونَها تَحْتَ أشْجارٍ مُعَيَّنَةٍ وَيُراقِبونَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ . وَفي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ يُغَطّي الظِّلُّ مَكاناً واحِداً بِعَيْنِهِ . وَيُخَبِّئونَ ذَهَبَهُمْ

في مارس قديمةٍ . وهُناك أعْدادٌ كبيرةٌ مِن الأشْباحِ في بعْضِ البُيوتِ العَتيقَةِ ، فَهَذِهِ أحْسَنُ الأماكِنِ لإخْفاءِ الكَنْزِ .»

تساءل هاكلبري . « ومَنْ يُخْفي دهاً مثْلَ ذلك الذَّهب الَّذي ذَكَرْتَهُ ؟»

« اللُّصوصُ وَالقَراصنَةُ ؛ فَهُمْ يُخْفونَ الذَّهَبَ مُعْتَقِدينَ أنَّهُمْ سيعودونَ لأخْذِه . لكنَّهُمْ يذْهبون إلى السُّجون أوْ يموتون ؛ لذلك لا يعُودونَ فيظلُّ الكنْزُ هُناك . أمَّا الأشْخاصُ الأذْكياءُ فيُمْكنُهُمْ أنْ يعْثروا عَلَيْهِ إذا بَحثُوا بِطَريقَةٍ سَليمَةٍ .»

سَألَهُ هاكِلْبِري : « كَيْفَ تَجِدُ المكانَ الصَّحيحَ ؟»

أجاب توم : « يُمْكنُنا أنْ نبْحثَ في جميع الأماكن . يُمْكنُنا أنْ نَبْحَثَ في البُيوتِ القَديمَةِ وَتَحْتَ شَجَرَةٍ كَبيرَةٍ .»

« إذَاً ، يا توم ، فَسَوْفَ نَبْحَثُ طَوالَ الصَّيْفِ .»

« يُمْكنُنا أنْ نُجرِّب تلْك الشَّجرة القديمة الميْتة . هلْ نَذْهبُ إلَيْها ؟»

قالَ هاكِلْبِري : « نَعَمْ ، سَنَفْعَلُ ذَلِكَ .»

كانت الشَّجرةُ على بُعْدِ خمْسة كيلومتْراتٍ ، وعنْدما وصلا إلَيْها ، كانا مُتْعبَيْن ، فاسْتلْقيا تَحْتها ليسْتريحا . ثُمَّ حفرَا تَحْتَها بقُوَّةٍ

لِمُدَّةِ ساعَةٍ ، لَكِنَّهُما لَمْ يَعْثُرا عَلى شَيْءٍ . وَحاوَلا في مَكانٍ آخَرَ ، فَلَمْ يَجِدا شَيْئًا .

قالَ توم : « لا بُدَّ أَنْ نَأْتِيَ مَرَّةً أُخْرى في اللَّيْلِ . » وَكانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعوبَةٍ ، ثُمَّ أَضافَ : « لا بُدَّ أَنْ نُراقِبَ ظِلَّ الشَّجَرَةِ ، فَسَيَدُلُّنا عَلى المَكانِ الصَّحيحِ . »

وَعادَ الاثْنانِ إِلى الشَّجَرَةِ في اللَّيْلَةِ نَفْسِها ، وَانْتَظَرا هُناكَ حَتّى السّاعَةِ الثّانِيَةَ عَشَرَةَ . وَرَأى كُلٌّ مِنْهُما مَكانَ الظِّلِّ ، وَحَفَرا حُفْرَةً أُخْرى في نِهايَةِ الظِّلِّ ؛ لَكِنَّهما لَمْ يَجِدا شَيْئًا ، فَحَزِنا .

قالَ هاكِلْبِري : « لا بُدَّ أَنْ نُجَرِّبَ مَكانًا آخَرَ ، يا توم »

« لا بَأْسَ . »

« أَيْنَ نُجَرِّبُ الحُفَرَ؟ »

أَجابَ توم : « في البَيْتِ الَّذي تَسْكُنُهُ الأَشْباحُ . ذَلِكَ هُوَ المَكانُ . ذَلِكَ البَيْتُ القَديمُ هُناكَ . »

قالَ هاكِلْبِري بِبُطْءٍ : « أَنا لا أُحِبُّ البُيوتَ الَّتي تَسْكُنُها الأَشْباحُ لأَنَّها أَسْوَأُ مِنَ المَوْتى . وَهَذِهِ البُيوتُ مَلآنَةٌ بِالأَرْواحِ ، وَتَظْهَرُ لَكَ بِهُدوءٍ . وَأَنا لا أَتَحَمَّلُ هذا النَّوْعَ مِنَ الأَشْياءِ ، يا توم ،

وَلا أَحَدَ يَسْتَطيعُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ توم : « لَكِنَّ الأَرْواحَ تَهيمُ بِاللَّيْلِ فَقَطْ ، يا هاك ، وَلا تَهيمُ في النَّهارِ . هَلْ رَأَيْتَ أَبَدًا روحًا في بَيْتٍ مَسْكونٍ بِالأَشْباحِ في أَثْناءِ النَّهارِ ؟ كَذَلِكَ لَمْ يَرَ أَحَدٌ مُطْلَقًا روحًا في هَذا البَيْتِ . لَقَدْ شوهِدَ ضَوْءٌ أَزْرَقُ بِالقُرْبِ مِنَ النَّوافِذِ وَلا شَيْءَ آخَرُ . »

كانَ هاكِلْبِري لا يَزالُ غَيْرَ مُتَأَكِّدٍ ، لَكِنَّهُ قالَ : « رُبَّما تَكونُ عَلى صَوابٍ . سَنَذْهَبُ وَنُجَرِّبُ فَقَطْ في أَثْناءِ النَّهارِ . »

وَهَبَطَ الاثْنانِ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ حَتّى شاهَدا البَيْتَ الَّذي تَسْكُنُهُ الأَشْباحُ . وَكانَ البَيْتُ خاوِيًا وَقائِمًا وَحْدَهُ ، وَكانَتِ الحَديقَةُ مَمْلوءَةً بِأَعْشابٍ طَويلَةٍ ، وَالسُّورُ الَّذي يُحيطُ بِهِ مُتَهَدِّمًا ، وَقَدْ سَقَطَ جُزْءٌ مِنَ السَّقْفِ ، وَالنَّوافِذُ خالِيَةً مِنَ الزُّجاجِ . وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ الوَلَدانِ لِلَحْظَةٍ ، لَكِنَّهُما لَمْ يُشاهِدا أَيَّ ضَوْءٍ وَلَمْ يَقْتَرِبا مِنَ البَيْتِ بَلْ عادا إِلى القَرْيَةِ سائِرَيْنِ وَسْطَ الأَشْجارِ .

الفصل العشرون

في البَيْتِ المسكون

في السّاعةِ الثّانيَةَ عَشرة مِنْ صَباح اليَوْم التّالي وصل الوَلَدان إلى الشّجَرةِ الميّتةِ مَرّةً أخْرى ؛ فَقَدْ جاءا لأخْذ الأدوات الّتي تَرَكاها هُناكَ . ولَكِنّهُما تذَكّرا أنّ اليَوْمَ كان يَوْم الجُمُعَة .

قالَ توم : « يَجِبُ ألا نَذْهَبَ إلى ذَلِكَ البَيْتِ في يَوْم الجُمُعَةِ ؛ لأنّهُ غَيْرُ مَأمونٍ ؛ فَيَوْمُ الجُمُعَةِ لَيْس يوْم سَعْدٍ . »

وَغادَر الاثْنانِ المَكانَ وعادا إلَيْهِ في اليَوْم التّالي ، وحَمَلا أدَواتِهما إلى البَيْتِ المَسْكون بالأشْباح ثُمّ دَخلاهُ . وَكانَ المكانُ هادِئًا ومُخيفًا . وشعَرا بالخوْفِ ، وتكلّما في همْسٍ وبصوْتٍ مُنْخَفِضٍ . وَلاحظا أنّ أرْضَ البَيْت مُسْتَوِيَة ، وَأنّ بَعْضَ دَرَجات سُلّم تَقُودُ إلى غُرْفَةٍ أخْرى في الطّابَقِ العُلْوِيّ .

وَلَمْ يَعْثُرا على شَيْءٍ في الغُرْفَةِ السُّفْلِيّةِ ، فَتَرَكا أدَواتِهما في رُكْنٍ ثُمّ صَعِدا إلى الدّوْرِ العُلْوِيّ . وَلَكِنّهُما لَمْ يَجِدا شيْئًا هُناكَ وَقَرّرا النُّزولَ إلى أسْفَلُ مَرّةً أخْرى . وَفَجْأةً سَمِعا صَوْتًا فاخْتَفَيا في الحالِ .

هَمَسَ توم لِزَميلِهِ : « لا تَتَحَرّكْ ! »

استَلْقى الاثْنانِ عَلى الأرْضِ وراحا يَنْظُرانِ إلى أسْفَلُ مِنْ خِلالِ بَعْضِ الثُّقوبِ ، وَاسْتَطاعا أنْ يُشاهِدا الغُرْفَةَ كُلّها بِوُضوحٍ . وَدَخَلَ رَجُلانِ البَيْتَ ، فَقالَ كُلٌّ واحِدٍ مِنَ الوَلَدَيْنِ لِنَفْسِهِ : « هُناكَ ذَلِكَ الإسْبانيُّ العَجوزُ وَهُوَ أبْكَمُ ، وَلَكِنّي لَمْ أرَ الرَّجُلَ الآخَرَ مِنْ قَبْلُ . »

كانَ شَعْرُ الإسْبانِيّ طَويلاً أبْيَضَ اللّوْنِ ، وَقَدْ وَضَعَ عَلى عَيْنَيْهِ نَظّارَةً خَضْراءَ اللّوْنِ . وَقَدْ رَآهُ أشْخاصٌ كَثيرونَ في المَدينَةِ وَلَكِنّ أحَدًا لَمْ يَعْرِفِ اسْمَهُ . وَجَلَسَ الإسْبانيُّ عَلى الأرْضِ ، وَتَحَدّثَ مَعَ زَميلِهِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ .

قالَ هاكْلِبري : « إنّ الإسْبانِيّ يَتَكَلّمُ ! كُنْتُ أظُنُّ أنّهُ أبْكَمُ . » وَأبْدى توم إشارَةً فَصَمَتَ هاكْلِبري .

قالَ أحَدُ الرَّجُلَيْنِ : « أنا لا أوافِقُ ، لأنّ الأمْرَ غَيْرُ مَأمونٍ . »

صاحَ الإسْبانِيُّ : « غَيْرُ مَأمونٍ ! »

وَدَهِشَ توم وَهاكْلِبري لأنّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ إسْبانِيًّا .

كانَ الصَّوْتُ يُشْبِهُ صَوْتَ رد جو .

قالَ رد جو: « هَذا المكانُ غَيرُ آمِنٍ ، وَكانَ يَجِبُ ألا نأتِيَ إلى هُنا .»

« أنا أعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُناكَ مَكانٌ أفْضَلُ مِنْهُ . أرَدْتُ أنْ أتْرُكَ هَذا المَنْزِلَ وَلَكِنَّ هَذَيْنِ الوَلَدَيْنِ كانا هُناكَ ، وَيُمْكِنُهُما أنْ يُشاهِداهُ . كَيْفَ يُمْكِنُنا السَّفَرُ إلى خارِجِ البِلادِ ؟»

وَارْتَعَشَ الوَلَدانِ .

قال جو : « أنْصِتْ .. اذْهَبْ إلى أعْلى النَّهْرِ ، وَانْتَظِرْ هُناكَ . سَأذْهَبُ إلى المَدينَةِ مَرَّةً أخْرى ، وَسَأُنْجِزُ بَعْضَ المَهامِّ ثُمَّ نُنَفِّذُ خُطَّتَنا وَنَذْهَبُ إلى تكساس .»

اسْتَمَرَّتِ المُحادَثَةُ بِهُدوءٍ لِبَعْضِ الوَقْتِ ، ثُمَّ اسْتَلْقى جو عَلى الأرْضِ وَقالَ : « سَأنامُ ، وَامْكُثْ أنْتَ مُسْتَيْقِظاً لِتُراقِبَ المَكانَ .»

رَاقَبَ الرَّجُلُ الآخَرُ المَكانَ لِوَقْتٍ قَصيرٍ ، ثُمَّ أغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَفي لَحَظاتٍ اسْتَغْرَقَ في النَّوْمِ أيْضاً .

هَمَسَ توم لِزَميلِهِ : « وَالآنَ ها هِيَ ذي فُرْصَتُنا قَدْ حانَتْ .. هَيّا .»

بَدَأ توم يَتَحَرَّكُ في اتِّجاهِ السَّلالِمِ ، لَكِنَّ هاكِلْبِري كانَ خائِفاً ،

فَلَمْ يَنْهَضْ مِنْ مَكانِهِ ، بَلِ انْتَظَرَ . خَطا توم عَلى أرْضِيَّةِ الحُجْرَةِ خُطْوَةً واحِدَةً ، فَأحْدَثَتْ طَقْطَقَةً عالِيَةً ، فَتَوَقَّفَ وَانْطَحَ عَلى الأرْضِ . وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الوَلَدانِ ، وَكانَ عَلَيْهِما أنْ يَنْتَظِرا .

وَعِنْدَما غَرَبَتِ الشَّمْسُ نَهَضَ جو مِنْ نَوْمِهِ ، وَابْتَسَمَ عِنْدَما رَأى حارِسَهُ نائِماً ، وَأيْقَظَهُ قائِلاً : « إنَّكَ حارِسٌ مُمْتازٌ . أ لَسْتَ كَذَلِكَ ؟ حانَ الوَقْتُ لِلذَّهابِ . ما الَّذي سَنَفْعَلُهُ بِالمالِ ؟ لا يُمْكِنُنا حَمْلُ الدَّولاراتِ في كُلِّ مَكانٍ . لا بُدَّ أنْ نُخْفِيَها .»

وَنَزَعَ الرَّجُلانِ صَخْرَةً وَراحا يَدْفِنانِ النُّقودَ تَحْتَها . وَكانَ الوَلَدانِ يَقومانِ بِبَعْضِ الإشاراتِ وَقَدْ لَمَعَتْ عُيونُهُما . نُقودٌ ! وَلَكِنَّهُما لَمْ يَسْتَطيعا الكَلامَ لأنَّ الوَضْعَ غَيْرُ آمِنٍ ، فَراقَبا الرَّجُلَيْنِ فَقَطْ .

عِنْدَما كانَ جو يَحْفِرُ الأرْضَ ارْتَطَمَ سِكِّينُهُ بِشَيْءٍ ، فَصاحَ : « يا لَها مِنْ مُفاجَأةٍ !»

سَأَلَهُ رَفيقُهُ: « ما الأمْرُ ؟»

رَدَّ جو : « قِطْعَةٌ مِنَ الخَشَبِ ! لا ! إنَّهُ صُنْدوقٌ . تَعالَ هُنا ساعِدْني .. سَنَنْظُرُ فيه . لَقَدْ أحْدَثْتَ ثَقْباً في الخَشَبِ .»

وَضَعَ جو يَدَهُ في الصُّنْدوقِ ثُمَّ أخْرَجَها وَهَتَفَ : « نُقودٌ ! إنَّهُ مَلآنُ بِالنُّقودِ !»

وفحص الرَّجُلان النُّقودَ بِشَغَفٍ . كانَتْ نُقوداً ذَهَبِيَّةً ، مِمَّا أثارَ الرَّجُلَيْنِ ، وَكَذَلِكَ توم وَهاكِلْبِري .

قالَ رَفيقُ حو : « يَجِبُ أنْ نُسْرِعَ بِهَذا الكَنْزِ !» ثُمَّ ذَهَبَ إلى رُكْنِ الغُرْفَةِ . وَكانَتْ أدواتُ توم وهاكِلْبِري هُناكَ ، فَتَناوَلَها وَعادَ بِها إلى جو الَّذي جَذَبَ الصُّنْدوقَ مِنْ مَكانِهِ وَأخْرَجَهُ ، وَلَمْ يَكُنِ الصُّنْدوقُ كَبيراً . وَفَحَصَ الرَّجُلانِ كَنْزَهُما بِعُيونٍ بَرَّاقَةٍ لامِعَةٍ ، وَتَرَكا العُمْلاتِ الذَّهَبِيَّةَ تَتَساقَطُ مِنْ بَيْنِ أصابِعِهِما ، وَهُما في فَرَحٍ وَبَهْجَةٍ وَسُرورٍ .

قالَ جو : « إنَّها أُلوفٌ مِنَ الجُنَيْهاتِ الذَّهَبِيَّةِ !»

رَدَّ صَديقُهُ : « اعْتادَ رِجالُ موريل الحُضورَ إلى هُنا .»

قالَ جو : « نَعَمْ ، وَهُوَ كَنْزُهُمْ .»

قالَ الآخَرُ . « لا حاجَةَ لَكَ الآنَ لِعَمَلِ الشَّيْءِ الآخَرِ . أقْصِدُ تِلْكَ الخُطَّةَ الأُخْرى .»

رَدَّ جو : « سَأنْفِذُها . لا بُدَّ أنْ نَدْفِنَ هَذا الكَنْزَ مَرَّةً أُخْرى .» (وَسُرَّ الوَلَدانِ لِذَلِكَ) ثُمَّ تابَعَ جو كَلامَهُ قائِلاً : « أوَّلاً كِدْتُ أنْسى ، لِماذا كانَتْ هَذِهِ الأدَواتُ هُناكَ في الرُّكْنِ ؟ (ارْتَعَبَ الوَلَدانِ عِنْدَ سَماعِهِما العِبارَةَ الأخيرَةَ) مَنِ الَّذي جاءَ بِها إلى هَذا

المَكانِ ؟ لا . لَنْ نَدْفِنَ النُّقودَ مَرَّةً أُخْرى . سَوْفَ يَعْثُرُ عَلَيْها شَخْصٌ إذا دَفَنّاها كَما كانَتْ . سآخُذُها إلى مَخْبَئي .»

رَدَّ زَميلُهُ : « هَلْ تَقْصِدُ المَكانَ رَقْمَ (واحِد) .»

أجابَ جو : « لا .. أقْصِدُ المَكانَ الَّذي رَقْمُهُ « اثْنانِ » تَحْتَ المُثَلَّثِ . لَكِنْ لِمَنْ هَذِهِ الأدَواتُ ؟ هَلْ أحْضَرَها الوَلَدانِ ؟ (يَقْصِدُ توم وهاكِلْبِري) هَلْ هُما في أعْلى السُّلَّمِ ؟»

بَدَأ رد حو يَرْتَقي السُّلَّمَ ، ودَقَّ قَلْبا الوَلَدَيْنِ دَقّاً عَنيفاً ، وارْتَعَشَتْ أرْجُلُهُما ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُما قَدَما رد حو الثَّقيلَتانِ . وَفَجْأةً انْكَسَرَتِ الدَّرَجَةُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَسَقَطَ مِنْ فَوْقِ السُّلَّمِ إلى الأرْضِ .

قالَ زَميلُهُ : « ما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟ هَلْ تُحاوِلُ كَسْرَ عُنُقِكَ ؟ فَإذا كانا في أعْلى السُّلَّمِ ؛ فَيُمْكِنُ أنْ يَظَلّا هُناكَ ، وَلَنْ يَعْثُرا عَلَيْنا في الظَّلامِ .»

وافَقَ جو وَخَرَجَ الرَّجُلانِ مِنَ المَبْنى . وَلَكِنَّهُما أخَذا صُنْدوقَ النُّقودِ مَعَهُما .

هَبَطَ توم وَهاكِلْبِري السُّلَّمَ إلى الأرْضِ .

قالَ توم : « يَجِبُ أنْ نُراقِبَ رد جو. لا بُدَّ أنْ نَتْبَعَهُ إلى المَكانِ « اثْنانِ » . ما هُوَ رَقْمُ « اثْنانِ » يا هاك ؟»

رَدَّ هاكِلْبِري : « لَسْتُ أعْرِفُ . وَثَمَّةَ شَيْءٌ آخَرُ ، فَقَدْ قالَ جو إنَّهُ يُريدُ أنْ يُنْجِزَ أعْمالاً مُعَيَّنَةً ؛ فَهَلْ تَتَذَكَّرُ ؟ كَما أنَّ الاثْنَيْنِ سَيَذْهَبانِ إلى تكساس ، فَما هِيَ خُطَّتُهُ يا توم ؟ ما الَّذي يُريدُ أنْ يَفْعَلَهُ ؟ هَلْ يُريدُ أنْ يَقْتُلَنا ؟»

الفصل الحادي والعشرون

الرَقمُ اثنان

عَكَّرَتْ مُغامَراتُ اليَوْمِ أحْلامَ توم في تِلْكَ اللَّيْلَةِ . رأى فيما يَرى النّائِمُ أنَّهُ في البَيْتِ المَسْكونِ بالأشْباحِ مَرَّةً أخْرى ، وَأنَّهُ كادَ يَحْصُلُ عَلى الكَنْزِ بَعْدَ أرْبَعِ مُحاوَلاتٍ . وَاسْتَيْقَظَ مِن نَوْمِهِ أرْبَعَ مَرّاتٍ دُونَ أنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ .

بَعْدَ تناوُلِ طَعامِ الفُطورِ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لِيَبْحَثَ عَنْ هاكِلْبِري. وَكانَ هاكِلْبِري غاضِباً لِفَقْدِهِ الأدَواتِ .

قالَ : « فَقَدْنا النُّقودَ لأنَّنا تَرَكْنا عُدَدَنا هُناكَ . لَمْ نَكُنْ أذْكياءَ . هَلْ كُنّا أذْكياءَ ؟»

رَدَّ توم : « لا بُدَّ أنْ نُتابِعَ رد حو لِنَحْصُلَ عَلى النُّقودِ .»

« وَلَكِنَّنا لَنْ نَجِدَهُ ، يا توم . كُنْتُ أفَكِّرُ في رَقْمِ « اثْنانِ »

وَلا أَسْتَطيعُ فَهْمَ المَقْصودِ بِهَذا الرَّقْمِ ، فَهَلْ تَسْتَطيعُ أَنْتَ ؟ ما رَقْمُ « اثْنان » ؟»

أجابَ توم : « لا أَدْري . رُبَّما يَكونُ رَقْمَ بَيْتٍ .»

قالَ هاكِلْبِري : « لا ، لَيْسَ عَلى البُيوتِ هُنا أَرْقامٌ .»

قالَ توم : « رُبَّما يَكونُ رَقْمَ غُرْفَةٍ . رُبَّما يَكونُ غُرْفَةً في فُنْدُقٍ .»

قالَ هاكِلْبِري : « رُبَّما يَكونُ كَما تَقولُ . نَعَمْ . لِلْغُرَفِ أَرْقامٌ . وَلَكِنْ هُناكَ فُنْدُقانِ فَقَطْ في المَدينَةِ . هَلْ نَذْهَبُ لِنُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْهِما ؟»

قالَ توم : « انْتَظِرْ هُنا ، يا هاك . سَأَذْهَبُ وَأَعودُ حالاً .»

خَرَجَ توم وَغابَ لِمُدَّةِ نِصْفِ ساعَةٍ . وَفي أَحْسَنِ فُنْدُقٍ كانَ شابٌّ يَشْغَلُ الحُجْرَةَ رَقْمَ « اثنان » ، وَكانَ قَدْ شَغَلَها لِوَقْتٍ طَويلٍ . وَلَكِنْ في الفُنْدُقِ الآخَرِ كانَتِ الغُرْفَةُ رَقْمُ « اثنان » غُرْفَةً غَريبَةً ؛ فَلَمْ يَبْدُ أَنَّ أَحَداً دَخَلَها عَلى الإِطْلاقِ . وَلَمْ يَظْهَرْ أَنَّ أَحَداً خَرَجَ مِنْها أَبَداً إِلّا في اللَّيْلِ . كانَ في الفُنْدُقِ صَبِيٌّ قالَ لِتوم كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الغُرْفَةِ ، وَكانَ يَعْتَقِدُ أَنَّها مَسْكونَةٌ بِالأَشْباحِ .

وَشَرَحَ توم ما اكْتَشَفَهُ لِهاكِلْبِري فَقالَ : « إِنَّ البابَ الخَلْفِيَّ

لِلْغُرْفَةِ يُطِلُّ عَلى شارِعٍ صَغيرٍ . وَلا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ الغُرْفَةَ . وَعَلَيْكَ إِحْضارُ مَجْموعَةٍ مِنَ المَفاتيحِ القَديمَةِ وَسَأُحْضِرُ أَنا بَعْضَها ؛ فَحالَتي لَديْها بَعْضُ المَفاتيحِ في المَنْزِلِ . وَسَنُجَرِّبُها في أَوَّلِ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ . رُبَّما تَكونُ غُرْفَةَ رد جو . لَقَدْ قالَ إِنَّهُ أَرادَ الذَّهابَ إِلى المَدينَةِ ، فَإِذا رَأَيْتَه ، يا هاك ، فَاتْبَعْهُ .»

راقَبا الشّارِعَ الصَّغيرَ القَريبَ مِنَ الفُنْدُقِ ، وَلَمْ يُشاهِدا شَيْئاً حَتّى يَوْمِ الخَميسِ ؛ فَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَحْضَرا مِصْباحاً مَعَهُما . وَانْتَظَرَ هاكِلْبِري وَحْدَهُ في الظَّلامِ ، وَذَهَبَ توم إِلى البابِ ، وَبَقِيَ هاكِلْبِري مُنْتَظِراً في قَلَقٍ لِمُدَّةٍ طَويلَةٍ . وَفَجْأَةً جَرى توم مِنْ أَمامِهِ وَهُوَ يَصيحُ : « اجْرِ .. اجْرِ .» وَجَرى الاثْنانِ حَتّى وَصَلا إِلى مَبْنًى قَديمٍ في أَطْرافِ القَرْيَةِ .

هَمَسَ توم لِصَديقِهِ : « كانَ الأَمْرُ مُرْعِباً ، يا هاك ؛ فَقَدْ أَحْدَثَتِ المَفاتيحُ صَوْتاً عالِياً في القُفْلِ ، وَاعْتَراني خَوْفٌ . وَلَمْ يَصْلُحْ أَيُّ مِفْتاحٍ لِفَتْحِ القُفْلِ . وَلَكِنّي لاحَظْتُ شَيْئاً ؛ فَقَدِ انْفَتَحَ البابُ مِنْ غَيْرِ مِفْتاحٍ ، فَدَخَلْتُ الغُرْفَةَ و ...»

« اسْتَمِرَّ ، يا توم ! ما الَّذي رَأَيْتَهُ ؟»

« كِدْتُ ، يا هاك ، أَقِفُ عَلى يَدِ رد جو !»

«لَا !»

« نَعَمْ ! كانَ مُنْبَطِحاً عَلى الأَرْضِ غارِقاً في النَّوْمِ ، وَذِراعاه مَفْتوحَتانِ عَنْ آخِرِهِما عَلى الأَرْضِ . وَرَأَيْتُ كَأْساً هُناكَ وَكَمِيَّةً كَبيرَةً مِنَ الزُّجاجاتِ .

سَأَلَهُ هاكِلْبِري : « إِذا كانَ رد جو نائِماً الآنَ ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُنا الحُصولُ عَلى الصُّنْدوقِ . »

رَدَّ توم : « إِذا أَرَدْتَ الحُصولَ عَلَيْهِ ، فاذْهَبْ بِنَفْسِكَ . لا أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى هُناكَ مَرَّةً أُخْرى . »

قالَ هاكِلْبِري : « أَفْتَرِضُ أَنَّكَ على حَقٍّ . » وَبَدا عَلَيْهِ القَلَقُ الشَّديدُ .

وَأَضافَ توم : « لا يُمْكِنُنا عَمَلُ شَيْءٍ عِنْدَما يَكونُ جو هُناكَ . وَلَكِنْ لا بُدَّ أَنَّهُ يَخْرُجُ في بَعْضِ الأَحْيانِ ، وَعِنْدَما يَخْرُجُ يُمْكِنُنا أَنْ نَسْتَوْلِيَ عَلى الصُّنْدوقِ . »

قالَ هاكِلْبِري : « سَأُراقِبُ البابَ وَالشّارِعَ ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْتَ أَنْ تَأْتِيَ بِالصُّنْدوقِ . »

أَجابَ توم : « نَعَمْ ، سَأَفْعَلُ ذَلِكَ . راقِبِ البابَ كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَإِذا احْتَجْتَ إِلَيَّ فَتَعالَ إِلى بَيْتِ خالَتي . قُلْ صَوْتَ القِطِّ خارِجَ البَيْتِ وَسَأَسْمَعُكَ ، وَسَأَتي عَلى الفَوْرِ . »

الفصل الثاني والعشرون

هاكلبري فِن يَقومُ بِواجِبِه

عادَتْ بِكي ثاتشر مِنْ إِجازَتِها ، وَكادَ توم يَنْسى رد جو. وَكانَ هُو وبِكي يَلْعَبانِ أَلْعاباً كَثيرَةً مَعاً . وَحَدَّدَتْ أُمُّها يَوْمَ النُّزْهَةِ في الخَلاءِ ، وَوافَقَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَها .

لَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيَّةُ إِشارَةٍ مِنْ هاكِلْبِري في تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، وَلَكِنَّ توم لَمْ يَنَمْ جَيِّداً . وَفي الصَّباحِ تَجَمَّعَ الفِتْيانُ عِنْدَ مَنْزِلِ بِكي . وَكانَ الصِّغارُ مِنْهُمْ فَقَطْ هُمُ الَّذينَ سَيَذْهَبونَ إِلى النُّزْهَةِ .

قالَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر : « إِنَّهُ طَريقٌ طَويلٌ ، يا بِكي . ابْقَيْ عِنْدَ إِحْدى صَديقاتِكِ وَيُمْكِنُكِ العَوْدَةُ غَداً ، وَبِذَلِكَ لَنْ تَتْعَبي . »

قالَتْ بِكي : « سَأَمْكُثُ مَعَ سوزان هارپر . »

وَسارَ الجَميعُ عَلى طُولِ الطَّريقِ في اتِّجاهِ قارِبٍ ، وَسارَ توم مَعَ

بكي .

قال لها توم : « لا تمكثي في بيت سوران هاربر . سنذهبُ معًا إلى منزلِ السيّدةِ دوجلاس ، فهي رقيقةٌ دائمًا وتُحسُّنا . »

فكّرتْ بكي لحظةً ثمّ قالتْ : « ولكنْ ما الّذي ستقولُهُ أمّي ؟ »

قالَ توم : « كيفَ لها أنْ تعرفَ ؟ »

ولمْ يُعجبْ ذلكَ بكي ، لكنّ توم أقنعها . و وافقتْ على أنْ تصعدَ معهُ التّلَ إلى بيتِ السيّدةِ دوجلاس .

وتذكّرَ توم صديقهُ هاكلبري ، وقال في نفسِهِ : « إنّ هاك ربّما يُعطي الإشارةَ الليلةَ ، وعليْهِ لا بُدَّ أنْ أعودَ إليْهِ . » لكنّ توم أرادَ أنْ يبقى معَ بكي ، وقرّرَ أنْ يفعلَ ذلك .

حملَهُمْ القاربُ إلى مسافةٍ في النّهرِ . وعندما وصلوا إلى العبّارةِ تركَ جميعُهُمُ القاربَ ، وساروا بينَ الأشجارِ وفوقَ التّلالِ وكانوا جميعًا يحسُّون بالحرِّ وشعروا بالتّعبِ بعدَ وقتٍ قصيرٍ ثمّ اجتمعوا مرّةً أخرى لتناولِ الطّعامِ وأكلوا كثيرًا منهُ .

بعدَ ذلكَ ذهبوا إلى الكهفِ العظيمِ . وكانَ مدخلُهُ عاليًا على جانبِ التّلّ . وكانَ باردًا ومظلمًا في الداخلِ . وسارَ الأولادُ على طولِ ممرٍّ عريضٍ ، وكانتْ ثمّةَ ممرّاتٌ أخرى على الجانبيْنِ

وكانَ بعضُ الأولادِ يعرفونَ بعضَ هذهِ الممرّاتِ ، ولكنْ لمْ يكنْ أحدٌ في العالمِ يعرفُها كلّها لكثرتِها ، وكانَ توم نفسُهُ يعرفُ منها ما يعرفُهُ غيرُهُ .

وانقسمَ الأولادُ إلى مجموعاتٍ داخلَ الكهفِ ، وراحوا يتوغّلونَ فيهِ . ودخلوا كهوفًا أصغرَ على الجوانبِ ، وأمضوْا وقتًا طويلاً فيها . كانَ القاربُ في انتظارِهِمْ عندما حلّ الليلُ .

عندما وصلَ القاربُ إلى القريةِ ، كانَ هاكلبري يراقبُ البابَ . وفي الساعةِ الحاديةَ عشرةَ أطفأَ أحدُ الأشخاصِ الأنوارَ في الفندقِ . ولكنْ لمْ يحدثْ شيءٌ ، وكانَ هاكلبري في حاجةٍ إلى نومٍ عميقٍ .

وفجأةً سمعَ هاكلبري شيئًا ، فقدْ أغلقَ البابُ بخفّةٍ ، فاختبأَ هوَ في الحالِ . ثمّ مرّ بهِ رجلانِ ، وكانَ أحدُهما يحملُ صندوقًا . لقدْ كانا يأخذانِ الكنزَ إلى مكانٍ بعيدٍ . ولمْ يكنْ في حاجةٍ إلى استدعاءِ توم ، بلْ كانَ عليْهِ أنْ يتبعَ الرّجلينِ ، وألا يفقدَ الصّندوق .

وسارَ الرّجلانِ على طولِ ضفّةِ النّهرِ ، ثمّ استدارا نحوَ ممرٍّ ضيّقٍ . وقادَهما هذا الممرُّ إلى تلّ كارديف ، ومرّا بمنزلٍ . وكانَ يعيشُ في هذا المنزلِ رجلٌ منْ ويلز يُدعى السيّد جونز ، لكنّهما

لَمْ يَتَوَقَّفا عِنْد مَنْزِلِهِ ، وَتَسَلَّقا التَّلَّ وهاكْلِبِري يَتْبَعُهُما .

كانَتِ اللَّيْلَةُ شديدَةَ الظَّلامِ ، وَفَقَدَ هاكْلِبِري الرَّجُلَيْنِ ، وَلَمْ يَعُدْ يَراهُما في أيِّ مَكانٍ . وَ وَقَفَ لِيُنْصِتَ . وَفَجْأَةً سَمِعَ رَجُلٌ سَعْلَةً خَفيفَةً على بُعْدِ مِتْرَيْنِ تَقْريبًا مِنْهُ . وَكانَتْ هذه مُفاجأةً مُرْعِبَةً لِهاكْلِبِري . لكِنَّهُ لَمْ يُصْدِرْ صَوْتًا أَوْ صَرْخَةً . وَفي الوَقْتِ نَفْسِهِ عَرَفَ المكانَ ، فَقَدْ كانا قَريبَيْنِ مِنْ بَيْتِ السَّيِّدَةِ دوجلاس .

سَمِعَ هاكْلِبِري صَوْتَ جو الغاضِبَ : « إنَّ شَخْصًا مَعَها ، فَهُناكَ أَنْوارٌ في المَنْزِلِ . »

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ الآخَرُ : « نَعَمْ ، هُناكَ شَخْصٌ . لا يُمْكِنُكَ عَمَلُ شَيْءٍ اللَّيْلَةَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَها . اِنْسَ المَوْضوعَ ! »

صاحَ جو : « أَنْساهُ ! لَنْ أَنْساهُ . لَنْ أَحْصُلَ عَلى فُرْصَةٍ مِثْلِ هَذِهِ مَرَّةً أُخْرى أنا لا أُريدُ مالَها ، لكِنَّ زَوْجَها هُوَ الَّذي أَدْخَلَني السِّجْنَ . نَعَمْ ، دوجلاس أَدْخَلَني السِّجْنَ ! لَمْ أَنْسَ مُطْلَقًا . أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ ، لكِنَّه ماتَ . ماتَ بِسُرْعَةٍ ، ولكِنَّ الفُرْصَةَ أمامي الآنَ . سَأَشْوِّهُ جمالَ هَذِهِ المَرْأَةِ . سَأُمَزِّقُ وَجْهَها . سَأَقْطَعُ أُذُنَيْها أَيْضًا . وستُساعِدُني أَنْتَ . وسأَقْتُلُكَ أَنْتَ أَيْضًا إنْ لَمْ تُساعِدْني . »

رَدَّ عَلَيْهِ الرَّجُلُ : « إذا أَرَدْتَ مُهاجَمَةَ تِلْكَ المَرْأَةِ ، فَهاجِمْها

بِسُرْعَةٍ . ما الَّذي تَنْتَظِرُهُ ؟»

قالَ رد جو . « لا نَسْتَطيعُ مُهاجَمَتَها الآنَ . سَنَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَما تَنْطَفِئُ الأَنْوارُ .»

أَعْقَبَ هَذِهِ الكَلِماتِ المُرْعِبَةَ سُكوتٌ طَويلٌ . وَتَحَرَّكَ هاكِلْبِري بِبُطْءٍ مُبْتَعِداً وَتَهشَّمَتْ قِطْعَةٌ مِن الخَشَبِ تَحْتَ قَدَمِهِ . وَكادَ قَلْبُهُ يَتَوَقَّفُ ، لَكِنْ لَمْ تَصْدُرْ مِنَ الرَّجُلَيْنِ أَيَّةُ حَرَكَةٍ . وَاسْتَمَرَّ هاكِلْبِري في سَيْرِهِ بِبُطْءٍ وَبِهُدوءٍ وَبَعْدَ أَنْ قَطَعَ مَسافَةً كَبيرةً راحَ يَجْري . وَهَبَطَ التَّلَّ إِلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ جونْز ، وَطَرَقَ البابَ فَفَتَحَهُ جونْز

سَأَلَ الرَّجُلُ الطارِقَ . « ما الأَمْرُ؟» وَ وَقَفَ ابْناهُ الكَبيرانِ بِجِوارِهِ .

رَدَّ عَلَيْهِ الطارِقُ . « أَنا هاكِلْبِري فِنْ . دَعْني أَدْخُل . أُريدُ أَنْ أَقولَ لَكَ شَيْئاً . إِنَّهُ أَمْرٌ هامٌّ .»

قالَ الرَّجُلُ : « أَنا لا أُحِبُّ هَذا الاسْمَ . هاكِلْبِري فِنْ ! لا ! لَكِنْ لا بُدَّ أَنْ نَدَعَهُ يَدْخُلُ ، يا أَوْلادُ . إِنَّهُ قَلِقٌ مِنْ شَيْءٍ .»

وَبَعْدَ ثَلاثِ دَقائِقَ كانَ الرَّجُلُ الويلزي وَابْناهُ يَتَسَلَّقونَ التَّلَّ . وَكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً . وَلَمْ يَذْهَبْ هاكِلْبِري مَعَهُمْ . بَلْ اخْتَبَأَ وَراءَ صَخْرَةٍ كَبيرَةٍ وَانْتَظَرَ . وَفَجْأَةً أَطْلَقَ شَخْصٌ

هُناكَ بُنْدُقِيَّةً ، وَسَمِعَ هاكِلْبِري صَرْخَةً ، وَلَمْ يَرَ مَنْ ما حَدَثَ . وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَسْرَعَ يَعْدو هابِطاً التَّلَّ . وَبَعْدَ قَليلٍ كانَ قَدِ ابْتَعَدَ كَثيراً .

الفصل الثالث والعشرون

بَدْءُ البَحْث

عادَ هاكِلْبِري إلى بَيْتِ السَّيِّدِ جونز يَوْمَ الأحَدِ صَباحًا ، فَاسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ مُرَحِّبًا : « تَفَضَّلْ ، تَفَضَّلْ بِالدُّخُولِ . هاكِلْبِري فِنْ ! اسْمٌ جَميلٌ ، وَسَتَرْحَبُ بِكَ دائِمًا هُنا ، يا بُنَيَّ . »

عِنْدَما دَخَلَ هاكِلْبِري البَيْتَ قَدَّموا لَهُ طَعامَ فُطورٍ شَهِيٍّ . وَسَأَلَ صاحِبَ البَيْتِ : « ماذا حَدَثَ هُناكَ في أعْلى التَّلِّ ؟ »

رَدَّ عَلَيْهِ السَّيِّدُ جونز : « إنَّ وَجْهَكَ شاحِبٌ جِدًّا . هَلْ أنْتَ مُتْعَبٌ ؟ يَجِبُ أنْ تَكونَ في الفِراشِ . إنَّنا لَمْ نَقْتُلْهُما ، يا هاكِلْبِري . عَثَرْنا عَلى المَكانِ ، وَلَكِنَّنا لَمْ نَكُنْ مَحْظوظينَ ؛ فَقَدْ سَمِعَنا الرَّجُلانِ ، وَأَطْلَقْنا عَلَيْهِما الرَّصاصَ ، لَكِنَّهُما هَرَبا . وَعِنْدَما تَبِعْناهُما أَطْلَقا عَلَيْنا الرَّصاصَ ، فَواصَلْنا مُطارَدَتَهُما ، وَلَكِنَّنا لَمْ

نَلْحَقْ بِهِما مُطْلَقًا . وَفَقَدْناهُما تَمامًا ؛ فَذَهَبْنا إلى القَرْيَةِ ، وَجَمَعْنا بَعْضَ الرِّجالِ لِلْبَحْثِ عَنْهُما في الغابَةِ اليَوْمَ . هَلْ يُمْكِنُكَ وَصْفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ؟ »

أجابَ هاكِلْبِري : « بِالطَّبْعِ أسْتَطيعُ . أحَدُهُما هُوَ الإسْبانِيُّ . أنْتَ تَتَذَكَّرُهُ . وَالثّاني رَجُلٌ فَقيرٌ ، مَلابِسُهُ مُمَزَّقَةٌ وَرِثَّةٌ . »

قالَ السَّيِّدُ جونز : « هَذا يَكْفي ، يا هاكِلْبِري . نَحْنُ نَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ . لِماذا تَبِعْتَهُما ؟ »

أجابَ هاكِلْبِري : « لَمْ أسْتَطِعِ النَّوْمَ ؛ فَخَرَجْتُ لأسيرَ بَعْضَ الوَقْتِ ، فَلَمَحْتُهُما وَكانَ أحَدُهُما يَحْمِلُ شَيْئًا تَحْتَ ذِراعِهِ فَظَنَنْتُ أنَّهُما سَرَقا شَيْئًا . وَتَبِعْتُهُما ، فَصَعِدا التَّلَّ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدِ دوجلاس . وَقالَ الإسْبانِيُّ إنَّهُ يُريدُ أنْ يُمَزِّقَ وَجْهَها . »

قالَ السَّيِّدُ جونز : « لَكِنَّ الإسْبانِيَّ لا يَسْتَطيعُ الكَلامَ ، وَأنْتَ تَعْرِفُ ذَلِكَ . »

لَقَدِ اقْتَرَفَ هاكِلْبِري خَطَأً ! لَمْ يَرْغَبْ في أنْ يَقولَ لأيِّ شَخْصٍ عَنْ رد جو ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الويلْزِيَّ كانَ يُراقِبُهُ بِدِقَّةٍ .

قالَ لَهُ : « لا تَخَفْ مِنّي . لَنْ أضُرَّكَ ، فَهَذا الإسْبانِيُّ يَسْتَطيعُ أنْ يَتَكَلَّمَ . أ لا يَقْدِرُ عَلى الكَلامِ ؟ لَكِنَّكَ لا تُريدُ أنْ تُخْبِرَني

بِذَلِكَ . لا يُهِمُّ . وَما الَّذي تَعْرِفُهُ أَيْضاً مِنْ أَشْياءَ أُخْرى ؟»

نَظَر هاكِلْبِري إلى عَيْنَي الرَّجُلِ الصّادِقَتَيْنِ لِلَحْظَةٍ ، ثُمَّ قَرَّرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ .

قالَ : « هَذا الرَّجُلُ هُوَ رد جو .»

وَما إنْ قالَ ذَلِكَ حَتّى كادَ الرَّجُلُ الويلْزي يَقفِزُ مِنْ مَقْعَدِهِ ، ثُمَّ قالَ « آهِ .. بَدَأْتُ أَفْهَمُ .»

جاءَتِ السَّيِّدَةُ دوحلاس إلى المَنْزِلِ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ قَصيرٍ .

وشَرَحَ لَها السَّيِّدُ جونز أَحْداثَ اللَّيْلَةِ وَفاجَأَتْها القِصَّةُ . وَشَكَرَتْهُ هُوَ وَ وَلَدَيْهِ ، وَقالَتْ : « لَقَدْ ساعَدْتَني كَثيراً . سَأَعْتَبِرُ القِصَّةَ سِرًّا وَكَأَنَّني لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا .»

وَلَمْ يَذْكُرِ السَّيِّدُ جونز أَيَّ شَيءٍ عَنِ الدَّوْرِ الَّذي قامَ بِهِ هاكِلْبِري في هَذِهِ الأَحْداثِ ، لأَنَّ هاكِلْبِري أَرادَ أَنْ يَكونَ بَعيداً عَنْها ، وَقَدْ أَخْبَرَ السَّيِّدَ جونز بِرَغْبَتِهِ ، فَوافَقَهُ الرَّجُلُ .

وَفي ذَلِكَ الصَّباحِ الْتَقَتِ السَّيِّدَةُ ثاتْشر السَّيِّدَةَ هارِبر وَسَأَلَتْها : « هَلْ بِكي لا تَزالُ نائِمَةً ؟» فَقَدْ ظَنَّتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر أَنَّ بِكي ذَهَبَتْ إلى بَيْتِ السَّيِّدَةِ هارِبر .

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ هارِبر مُتَعَجِّبَةً : « بِكي ؟»

« نَعَمْ ! أَلَمْ تَقْضِ لَيْلَةَ أَمْسِ مَعَكِ ؟»

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ هارِبر : « لا .. لَمْ أَرَها .»

وَذَهَلَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر ، وَامْتَقَعَ وَجْهُها . وَفي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُما الخالَةُ بوللي ، وَأَخْبَرَتْهُما بِأَنَّ توم قَدْ هَرَبَ مِنَ المَنْزِلِ ، ثُمَّ سَأَلَتْ : « هَلْ مَكَثَ في بَيْتِكِ ، يا سَيِّدَةُ هارِبر ؟»

أَجابَتْها : « لَم يَحْضُرْ إِلَيْنا .»

وَ وَجَّهَتِ الخالَةُ بوللي سُؤالَها إلى جو هارِبر : « هَلْ رَأَيْتَ توم ، يا جو ؟»

أَجابَها جو : « لا ، لَمْ أَرَهُ .»

سَأَلَتْهُ: « مَتى رَأَيْتَهُ آخِرَ مَرَّةٍ ؟»

لَمْ يَسْتَطِعْ جو أَنْ يَتَذَكَّرَ . وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ توم أَوْ بِكي ، بَلْ لَمْ يَرَهُما أَحَدٌ في القارِبِ.

قالَ أَحَدُ الأَوْلادِ : « رُبَما لا يَزالانِ في الكَهْفِ .»

كانَتِ السَّيِّدَةُ ثاتشر قَلِقَةً جِدًّا ، وَبَكَتِ الخالَةُ بوللي . وَخافَ جَميعُ النّاسِ في القَرْيَةِ . وَنَسِيَ النّاسُ القِتالَ الَّذي دارَ في تَلِّ

كارديف . وَأَخْرَجَ الرِّجالُ جِيادَهُمْ وَأَعَدَّ الرُّبّانُ قارِبَهُ . وَذَهَبَ القاضِي ثاتشر مَعَ رِجالٍ آخَرِينَ ، وَكانَ القاضِي وَالِدَ بِكي .

كانَ نَحْوُ مِئَتَيْ رَجُلٍ عَلى الطَّرِيق وَفَوْقَ مَتْنِ القارِبِ في النَّهْرِ . وَامْتَطى القاضِي حِصانَهُ وَانْطَلَقَ مُنْدَفِعاً بِهِ مُتَقَدِّماً الرِّجالَ عَلى الطَّرِيقِ المُؤَدِّي إِلى الكَهْفِ .

وَكانَتِ القَرْيَةُ خالِيَةً تَماماً عِنْدَما ذَهَبَ الرِّجالُ يَبْحَثُونَ عَنْ بِكي . وَانْتَظَرَتِ النِّساءُ طَوالَ اللَّيْلِ ، لَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ .

وَفي الصَّباحِ وَصَلَتْ رِسالَةٌ تَقولُ : « أَرْسِلوا شَمْعاً أَكْثَرَ وَأَرْسِلوا طَعاماً . » وَكادَتِ والِدَةُ بِكي تَموتُ مِنَ الخَوْفِ ، لَكِنَّ القاضِيَ زَوْجَها لَمْ يُرْسِلْ إِلَيْها رِسالَةً خاصَّةً . وَكانَ عَلَيْها فَقَطْ أَنْ تَنْتَظِرَ .

وَعادَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس إِلى بَيْتِ الرَّجُلِ الوِيلْزِيِّ السَّيِّدِ جونز فَوَجَدَتْ هاكِلْبِري مَريضاً في الفِراشِ . وَكانَ الأَطِباءُ في الكَهْفِ ، فَجَلَسَتْ بِجِوارِ فِراشِ هاكِلْبِري تَنْتَظِرُ الأَخْبارَ . وَلَمْ تَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ توم وَبِكي .

وَفي الصَّباحِ عادَ بَعْضُ الرِّجالِ مِنَ الكَهْفِ ، وَقالوا إِنَّهُ لَمْ يُعْثَرْ عَلى توم وبِكي بَعْدُ . وَقالوا أَيْضاً : « إِنَّ الرِّجالَ الآخَرِينَ يَبْحَثُونَ في كُلِّ جُزْءٍ مِنَ الكَهْفِ . لَكِنَّهُ كَهْفٌ كَبيرٌ جِدًّا ، وَعَثَرْنا

عَلى اسْمَيْنِ فَوْقَ الصُّخورِ : توم وَبِكي . وَقَدْ كَتَبا اسْمَيْهِما بِدُخانِ شَمْعَتَيْهِما . وَلَكِنَّ الاسْمَيْنِ لَمْ يَكونا بِالقُرْبِ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ . »

وَمَرَّتْ ثَلاثَةُ أَيّامٍ وَلَيالٍ مُرْعِبَةٍ بِبُطْءٍ . وَلَمْ يَشَأْ أَيُّ شَخْصٍ في القَرْيَةِ أَنْ يُؤَدِّيَ أَيَّ عَمَلٍ . وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس لا تَزالُ تَتَرَقَّبُ الأَخْبارَ وَهِيَ بِجِوارِ فِراشِ هاكِلْبِري . وَكانَ الرِّجالُ في الكَهْفِ لا يَزالونَ يَبْحَثونَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَعْثُرْ أَيُّ واحِدٍ مِنْهُم عَلى توم وبِكي .

الفصل الرابع والعشرون

في الكَهْفِ المُظلِم

تَجَوَّلَ توم وبكي لِمسافةٍ طَويلَةٍ مَعًا خِلالَ الكَهْفِ ، وَراحا يَتحدَّثانِ طَوالَ الوَقْتِ . وَكانَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْمِلُ شَمْعَةً . وَكَتَبا اسْمَيْهِما عَلى الصُّخورِ بِدُخانِ الشَّمْعَتَيْنِ .

وَ وَجَدا مَجْرًى مِنَ الماءِ في مَكانٍ واحِدٍ . وَلاحَظَ توم وُجودَ مَمَرٍّ خَلْفَ المَجْرى المائِيِّ ، فَسارا عَلى طُولِ ذَلِكَ المَمَرِّ لاسْتِكْشافِهِ فَقادَهُما المَمَرُّ إلى أَسْفَلُ ، وَبَعْدَ وَقْتٍ أَصْبَحا عَلى عُمْقٍ في داخِلِ الكَهْفِ . وَعَمِلَ توم عَلاماتٍ بِدُخانِ الشَّمْعَةِ في أَماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ وَقالَ : « هَذِهِ العَلاماتُ سَتُساعِدُنا عَلى مَعْرِفَةِ طَريقِ العَوْدَةِ . »

و وَصَلا إلى جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الكَهْفِ . وَكان هذا الجُزْءُ مَليئًا بِالخفافيشِ ، وَلَمْ يُعْجِبِ الخَفافيشَ الضَّوْءُ المُنْبَعِثُ مِنَ الشَّمْعَتَيْنِ .

وطار خُفّاشٌ إلى شَمْعَةِ بكي وَأَطْفَأَها . وَقادَ توم بقلق بكي إلى بعيدٍ عَلى طُولِ مَمَرٍّ آخَرَ ، وَلَكِنَّ الخفافيشَ تَبِعَتْهُما ، فَهَرَبا إلى ممرٍّ آخَرَ ، ثُمَّ إلى آخَرَ فَتَرَكَتْهُما الخَفافيشُ . لَكِنَّها كانَتْ تَجْرِبَةً مُرْعِجَةً لَهُما . وَشَعَرا بِالسُّكونِ العَميقِ الَّذي يَمْلأُ المكانَ

قالَتْ بِكي : « لَمْ نَسْمَعِ الآخَرينَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ . »

قالَ توم : « نَحْنُ تَحْتَهُمْ ، يا بِكي . »

قالَتْ : « يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَعودَ . هَلْ تَسْتَطيعُ أَنْ تَجِدَ الطَّريقَ ، يا توم ؟ » فَقَدْ كانَتْ خائِفَةً مِنَ السُّكونِ .

قالَ : « نعمْ ، أَظُنُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ هُناك تِلْكَ الخفافيشُ . فَما الَّذي نَفْعَلُه إذا أَطْفَأَتْ شَمْعَتَيْنا ؟ يَجِبُ عَلَيْنا أَنْ نَعودَ عَنْ طَريقِ مَمَرٍّ آخَرَ . »

وَحاوَلَ الاثْنانِ ، وَسارا مَسافَةً طَويلَةً في السُّكونِ . وَنَظَرَ توم في كُلِّ مَمَرٍّ جَديدٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلى أَيٍّ مِنْها ؛ فَتَكَلَّمَ بِمَرَحٍ لِكَيْ يُعْطِيَ بكي قَدْرًا مِنَ الشَّجاعَةِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ في حَقيقَةِ الأَمْرِ سَعيدًا . لَقَدْ ضَلَّ طَريقَ العَوْدَةِ ، وكانَ يَعْرِفُ ذَلِكَ . وَبَعْدَ قَليلٍ تَحَوَّلَ إلى أَيِّ مَمَرٍّ ، وَلَم يَتَّبِعْ أَيَّ خُطَّةٍ .

فَهِمَتْ بِكي المَوْقِفَ وَقالَتْ : « أَ لا نَسْتَطيعُ العَوْدَةَ مِنْ نَفْسِ

الطَّريقِ ، يا توم ؟» ثُمَّ سألَتْه بَقلَقٍ : « هلْ يُمكِنُنا أنْ نجْري وَنعبُرَ مَكانَ الحَفافيش ؟»

وَتوَقَّفَ توم لِيُنْصِتَ . لَمْ يَكُنْ هُناكَ صَوْتٌ في الكَهْفِ . صاحَ بأعْلى صوْتِهِ ، ولَمْ يَكُنْ هُناكَ رَدٌّ على صياحه . وأخافَ الصِّياحُ بكي وَأزْعجَها .

صرَخَتْ بكي : « آهِ يا توم ! لَنْ نَخْرُج منْ هُنا أبَدًا ! لمادا تَرَكْنا الآخَرينَ ؟»

وَجلَسَ الاثْنانِ ، وَ وَضَعَ توم ذِراعَهُ حوْل بكي . لكنَّها كانتْ قدْ فَقَدتِ الأمل في تِلْك اللَّحْظةِ ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ أمَلٌ هُوَ الآخَرُ .

وَفي وَقْتٍ قَصيرٍ تحرَّك الاثْنانِ مَرَّةً أخْرى ، وَلَمْ يكُنْ لديْهِما خُطَّةٌ . وَأطْفَأ توم لَهَبَ شمْعةِ بكي ، فَقَدِ احْتاجا إلى شَمْعَةٍ واحدَةٍ، وَفهِمَتْ هي حيْدًا . وكانتْ مَعَهُ شمْعةٌ أخْرى في حيْبه ، وَلكنْ كانَ عَلَيْهِ أنْ يُوَفِّرَ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الشَّمْعِ . وعِنْدما تَعِبا جَلَسا ، وَتحدَّثا عَنْ بيْتيْهِما ، وَتَذَكَّرا أصْدِقاءَهُما وَفِراشَهُما المُريحَ ، وَتَذَكَّرا الضَّوْءَ الباهِرَ خارِجَ الكهْفِ .

وَنامَتْ بِكي قَليلاً ، ثُمَّ واصَلا السَّيْرَ مَرَّةً أخْرى . وَ وَصلا إلى مَجْرى ماءٍ فَجَلَسا بِجِوارِهِ . وَعَثَرَ توم عَلى بَعْضِ الكَعْكِ في حيْبِهِ،

وَأَعْطى بَعْضَهُ لِبِكي قائِلاً: « إِنَّهُ مِنْ كَعْكِ الزُّهَةِ .» وَلَمْ يَأْكُلْ نَصيبَهُ كُلَّهُ .

قالَ توم بِرِفْقٍ : « هَذِهِ آخِرُ قِطْعَةٍ مِنَ الشَّمعَةِ ، يا بِكي .» وَتَرَدَّدَ في أَنْ يَقولَ : « لا بُدَّ أَنْ نَمكُثَ هُنا ؛ فَلَدَيْنا الماءُ هُنا ، وَيُمْكِنُنا أَنْ نَشْرَبَ مِنْهُ .»

بَعْدَ صَمْتٍ طَويلٍ قالَتْ بِكي . « توم ! إِنَّهُمْ سَيَفْتَقِدوننا ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَسَوْفَ يَبْحَثونَ عَنّا حَتّى يَجِدُونَا .»

« نَعَمْ .. سَيَعْمَلونَ . مِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ سَيَبْحَثونَ عَنّا .»

« رُبَّما هُمْ يَبْحَثونَ عَنّا في هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، يا توم .»

« نَعَمْ . سَتَفْتَقِدُكِ أُمُّكِ عِنْدَما يَعودُ الآخَرونَ إِلى بُيوتِهِمْ .»

لَكِنْ تَذَكَّرَ كُلٌّ مِنْهُما شَيئاً في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُ عَوْدَةَ بِكي إِلى بَيْتِها في تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَجَلَسَ الاثْنانِ في صَمْتٍ يُراقِبانِ الشَّمْعَةَ . وَبَدَأَ اللَّهَبُ الصَّغيرُ يَرْتَعِشُ . وَفي لَحَظاتِ صَمْتِ اللَّهَبُ ثُمَّ انْطَفَأَ . وَأَطْبَقَ ظَلامُ الكَهْفِ عَلَيْهِما وَهُما جالِسانِ في سُكونٍ . وَنامَا فيما بَعْدُ ، لَكِنَّهُما اسْتَيْقَظا في الظَّلامِ .

وَمَرَّتِ السّاعاتُ بَطيئَةً ، ثُمَّ شَعَرا بِالجُوعِ مَرَّةً أُخْرى . وَكانَتْ قِطْعَةٌ صَغيرَةٌ مِنْ كَعْكَةِ توم قَدْ بَقِيَتْ فَاقْتَسَماها وَأَكَلاها ، وَلَكِنَّها كانَتْ صَغيرَةً . وَفَجْأَةً سَمِعا أَصْواتاً بَعيدَةً جِدًّا .

صاحَ توم : « إِنَّهُم قادِمونَ ، يا بِكي .» وَسارَ الاثْنانِ بِفَرَحٍ وَسُرورٍ في اتِّجاهِ الأَصْواتِ ، وَلَكِنَّهُما لَمْ يَسْتَطيعا التَّحَرُّكَ بِسُرْعَةٍ في الظَّلامِ . وَفي وَقْتٍ قَصيرٍ ابْتَعَدَتِ الأَصْواتُ مَرَّةً أُخْرى ، وَعادَ السُّكونُ إِلى الكَهْفِ .

وَ وَجَدَ الطِّفْلانِ الحَزينانِ طَريقَهُما إِلى الماءِ ، وَناما هُناكَ . وَعِنْدَ اسْتِيقاظِهِما شَعَرا بِجوعٍ شَديدٍ .

وَقَرَّرَ توم أَنْ يَفْعَلَ شَيْئاً ؛ فَلا يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْلِسَ هُناكَ هَكَذا ، فَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ خَيْطاً ، وَرَبَطَ نِهايَتَهُ بِصَخْرَةٍ ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِالخَيْطِ في يَدٍ واحِدَةٍ ، وَسارَ عَلى طولِ مَمَرٍّ أَرادَ أَنْ يَسْتَكْشِفَهُ . وَانْتَهى المَمَرُّ عِنْدَ قِطْعَةٍ مِنَ الصُّخورِ . وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ يَدٌ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، وَكانَتْ تُمْسِكُ بِشَمْعَةٍ . وَصاحَ توم صَيْحَةَ الفَرَحِ ، لَكِنَّ اليَدَ اخْتَفَتْ بِسُرْعَةٍ . وَكانَتْ يَدَ رد جو .

و وَجَدَ توم أَنَّهُ لا يَسْتَطيعُ الحَرَكَةَ . وَفَرَّ رد جو بَعيداً عِنْدَما رَأَى شَخْصاً في الظَّلامِ . وَلَكِنْ بَعْدَ هذا كانَ توم يَرْتَعِشُ ، وَعادَ إِلى

مَوْضع الماءِ .

نامَ توم وَبكي مَرَّةً أُخْرى . وَعِنْدَما اسْتَيْقَظا أحسّا بِجوعٍ شَديدٍ ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُما طعامٌ . وَاعْتَقدا أنَّ اليَوْمَ هُوَ يَوْمُ الأرْبِعاءِ أو الخَميسِ . وَقَرَّرَ توم أنْ يَسْتَكْشِفَ مَمَرًّا آخَرَ ، وَ وافَقَتْ بِكي وَقالَتْ بَصَعْفٍ : « عُدْ بَعْدَ قَليلٍ ، يا توم ، فَإذا كُنّا سَنَموتُ فَلْنَمُتْ مَعًا . »

وَطَمْأنَها توم ، ثُمَّ تَناوَلَ الخَيْطَ في يَدِهِ ، وَذَهَبَ بِبُطْءٍ عَلى طولِ مَمَرٍّ . وَزَحَفَ عَلى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ . وَكانَ جائِعًا وَقَلِقًا ، وَاعْتَقَدَ أنَّ نِهايَتَهُما أصْبَحَتْ قَريبَةً .

الفصل الخامس والعشرون

الأجْراسُ تُدَقُّ لَيْلاً

في عَصْرِ يَوْمِ الثُّلاثاءِ كانَتِ القَرْيَةُ لا تَزالُ مَكانًا يُخَيِّمُ عَلَيْهِ الحُزْنُ وَالكآبَةُ ؛ إذْ فَقَدَ مُعْظَمُ الرِّحالِ الأمَلَ وَعادَروا الكَهْفَ . واشْتَدَّ المَرَضُ بالسَّيِّدَةِ ثاتشر وَالِدَةِ بِكي . وَجَلَسَتِ الحالَةُ بولي حَزينَةً في بَيْتِها تَنْتَظِرُ .

لَكِنْ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أيْقَظَتِ الأجْراسُ النّاسَ مِنْ نَوْمِهِمْ . وَملأ رَنينُها العالي القَرْيَةَ كُلَّها . وَصاحَ النّاسُ : « لَقَدْ وَجَدوهُما ! لَقَدْ وَجَدوهُما ! »

وَتَحَرَّكَتْ عَرَبَةٌ مَكْشوفَةٌ في الشّارِعِ . وَكانَ بَعْضُ الرِّجالِ يَدْفَعونَها بِأيْديهِمْ ، وَيَصيحونَ في الوَقْتِ نَفْسِهِ . وَكانَ توم وَبِكي جالِسَيْنِ في العَرَبَةِ . وَتَلألأ كُلُّ ضَوْءٍ في القَرْيَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ أيُّ

شخصٍ إلى فِراشِهِ . وَذهبت العَرَبَةُ بتوم وبكي إلى مَنْزِلِ القاضي؛ وَذَهَبَ النّاسُ أيضاً إلى هُناكَ لِيَرَوْهُما ، ولكيْ يُقبّلوهُما . كانتْ لَيْلَةً مُثيرَةً جِدًّا .

كانَ عَلى توم أنْ يشرَح كُلَّ شيْءٍ ، فقالَ : « كانتْ مَعا كَعْكَةٌ وَ وَجَدنا بَعْضَ الماءِ في الكَهْفِ ، لكِنّنا كُنّا نُعاني مِنْ جوع شديدٍ ؛ لأنّهُ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ القَليلِ مِنَ الكَعْكَة . تَرَكتُ بِكي وَاسْتَكْشَفْتُ ممَرّيْنِ ، لكِنّي وصلْتُ إلى بِهايَةِ الخيْطِ . وما كِدتُ أستَديرُ حتّى رأيْتُ بَصيصاً مِنْ نورٍ كانَ مِثْلَ نورِ النّهارِ ، فألقَيْتُ بالخيْطِ ، ودفعْتُ بِرأسي خِلالَ فُتْحَةٍ ، ثُمّ رأيْتُ نهْرَ المسيسبي العَظيمَ . كانَ مُدْهِشاً .. حقًّا مُدْهِشاً . عُدْتُ إلى بِكي وَأخبرْتُها

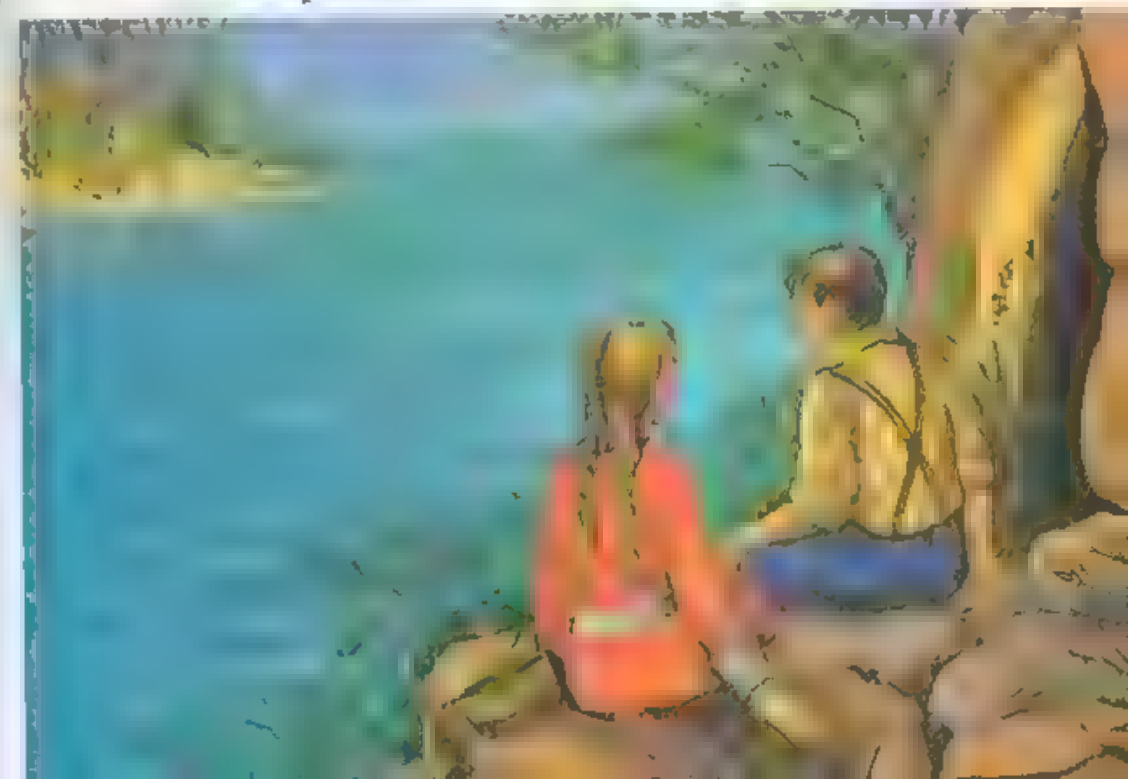

بما رأيْتُ . لَمْ تُصَدِّقْني بالطّبْعِ ، وَلكِنّي أخذْتُها إلى المكانِ فَرأتِ النّورَ بِنَفْسِها !»

نجا توم وبكي مِنْ خِلالِ الفُتْحَةِ . وَجلَسا وَهُما في غايَةِ السّعادَةِ خارِجَ الكَهْفِ . وراحا يَنْظُران إلى النّهْرِ العَظيمِ ، ثُمّ لاحظا وُجودَ رَجُلَيْنِ في قاربٍ فَنادَيا عَلَيْهِما . وَعِنْدَما ذَكَرَ توم قِصّتَهُما لِلرَّجُلَيْنِ، لَمْ يُصَدِّقاها وَصاحا : « إنّكُما عَلى بُعْدِ ثَمانِيَةِ كيلومتْراتٍ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ !» لكِنّهُما أخَذا الاثْنَيْنِ توم وبكي إلى بَيْتٍ ، وَقَدّما لَهُما وَجْبَةَ طَعامٍ . وَتَرَكاهُما يَسْتَريحان لِمُدّةِ ساعَتَيْنِ ، ثُمّ جاءا بِعَرَبَةٍ ، وَعادا بِهِما إلى قَريَتِهِما .

وَذَهَبَ شَخْصٌ إلى الكَهْفِ لِيُخْبِرَ القاضيَ ثاتشر وَالرِّجالَ الآخرينَ . وَعادوا بِبَهْجَةٍ وَسُرورٍ إلى بُيوتِهِمْ . وَلَمْ يَكُنْ أيُّ شَخْص أسْعَدَ مِنَ القاضي ثاتشر عِنْدَما رأى ابْنَتَهُ بِكي مَرّةً أخْرى .

وَسَمِعَ توم أخْبارَ هاكلبِري ، وَأرادَ أنْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ. وَسَمِعَ أيْضاً شَيْئاً آخَرَ ؛ فَجُثَّةُ رَفيقِ رِد جو عُثِرَ عَلَيْها في النّهْرِ . وَظَنّوا أنّهُ كان يُحاوِلُ الفِرارَ ، وَلكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أحَدٌ شَيْئاً عَنْ هَذا الرَّجُلِ .

وَذاتَ يَوْمٍ تَحَدَّثَ القاضي ثاتشر إلى توم عَنِ الكَهْفِ ، فَقالَ : « لَنْ يَسْتَطيعَ أحَدٌ الآنَ أنْ يَدْخُلَهُ ؛ فَثَمّةَ بابٌ حَديدِيٌّ وُضِعَ عَلى المَدْخَلِ . وَلَنْ نَسْمَحَ بِمِثْلِ هَذِهِ المُغامَرَةِ ، يا توم ؛ فَهَذا الكَهْفُ غَيْرُ

مأمونٍ .»

امتقعَ وَجْهُ توم وَصاحَ : « إنَّ رد جو يَعيشُ في داخِلِ الكَهْفِ !»

صَرَخَ القاضي : « ماذا ؟ في الدّاخِلِ ؟ لا بُدَّ أنْ نُخْرِجَهُ في الحالِ .»

وفي دَقائِقَ مَعْدودَةٍ كانَ عددٌ قَليلٌ مِنَ القَوارِبِ يُبْحِرُ في اتّجاهِ الكَهْفِ مَرَّةً أُخْرى . وَذَهَبَ توم سُوير مَعَ القاضي . وَ وصَلوا إلى الكَهْفِ ، وَفَتَحوا بابَهُ الحَديديَّ . وَ وَقَعَتْ أبْصارُهُمْ عَلى مَشْهَدٍ مُفْزِعٍ ؛ فَقَدْ كانَ رِد جو مُمَدَّدًا عَلى الأرْضِ مَيِّتًا . وَكانَ وَجْهُهُ قَريبًا مِنْ ثَقْبٍ في الباب وَبِجِوارِهِ سِكّينُهُ .

قالَ القاضي « يا لِلْمِسْكينِ ! حاوَلَ الخُروجَ ، وَلكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ . وَقَدْ كُسِرَتْ سِكّينُهُ . انْظُرْ إلَيْها . لَمْ يَسْتَطِعْ كَسْرَ هَذا البابِ الكَبيرِ بِسِكّينٍ صَغيرَةٍ .»

وَدُفِنَ رد جو بِجِوارِ مَدْخَلِ الكَهْفِ . وَلَمْ يَأسَفْ هاكِلْبِري حَقيقَةً عَلى مَوْتِ جو ، وَكَذلِكَ توم لَمْ يَأسَفْ هُوَ الآخَرُ . وَحَكى لَهُ هاكِلْبِري عَنْ صُنْدوقِ النُّقودِ : « لَقَدْ تَتَبَّعْتُهُ ، يا توم ؛ وَلكِنَّ النُّقودَ لَيْسَتْ في تِلْكَ الغُرْفَةِ بِالصُّنْدُقِ .»

أجابَ توم : « أعْرِفُ ذَلِكَ ؛ فالنُّقودُ في الكَهْفِ

يا هاك !»

صاحَ هاكِلْبِري : « في الكَهْفِ ؟»

قالَ توم : « هَلْ تَأتي مَعي لِنَجيءَ بِها ؟»

« بِالطَّبْعِ سَأفْعَلُ .. أسْتَطيعُ أنْ أسيرَ كيلومِتْرَيْنِ ، يا توم . إنَّني لَسْتُ مَريضًا الآنَ .»

قالَ توم : « نَحْتاجُ إلى أكْياسٍ صَغيرَةٍ وَبَعْضِ الحَبْلِ . وَلا بُدَّ أنْ نَأخُذَ بَعْضَ الطَّعامِ ، وَبَعْضَ عُلَبِ الثِّقابِ .»

وَاصْطَحَبَ توم صَديقَهُ هاكِلْبِري بَعْدَ الظُّهْرِ إلى النَّهْرِ ، وَرَكِبا قارِبًا وَأبْحَرا إلى الكَهْفِ ، وَقادَ صَديقَهُ إلى فُتْحَةٍ صَغيرَةٍ خَلْفَ مَجْموعَةٍ مِنَ الشَّجَرِ الكَثيفِ المُلْتَفِّ . وَكانَتْ هَذِهِ الفُتْحَةُ عَلى بُعْدِ ثَمانِيَةِ كيلومِتْراتٍ مِنْ مَدْخَلِ الكَهْفِ .

قالَ توم : « هَذا هُوَ المَكانُ ، يا هاك الَّذي نَجَوْتُ مِنْهُ أنا وَبِكي .»

أخَذَ هاكِلْبِري إلى داخِلِ الكَهْفِ ، وَقادَه عَلى طُولِ مَمَرٍّ . وَكانَتْ شَمْعَتُهُ في يَدٍ واحِدَةٍ وَرَفَعَها إلى أعْلى .

قالَ توم : « انْظُرْ إلى الصَّخْرَةِ ، يا هاك . هَلْ تَرى ذَلِكَ المُثَلَّثَ هُناكَ ؟ لَقَدْ رَسَمَهُ رد جو بِدُخانِ الشَّمْعَةِ ، فَقَدْ رَأيْتُ رد جو هُنا

وَمعَهُ شمْعَةٌ . وَدارَ حَوْلَ الصَّخْرَةِ ، ثُمَّ فَرَّ هارِباً . هَلْ تَذْكُرُ تِلْكَ الكَلِماتِ ؟ « تَحْتَ المُثَلَّث » يا هاك ! كانَ المَكانُ الثّاني تَحْتَ المُثَلَّثِ ؛ فَالرَّقْمُ اثْنانِ هُنا يا هاك . ها هُوَ ذا .»

لَكِنَّ هاكِلْبِري لَمْ يُعْجَبْ بِالمَكانِ ، وَقالَ : « هَيّا نَخْرُجُ مِنْ هُنا يا توم ؛ فَلا بُدَّ أَنَّ روحَ رد جو تُحَوِّمُ في هَذا المَكانِ ؛ فَالأَرْواحُ دائِماً تُعَسْكِرُ بِالقُرْبِ مِن النُّقود .» لَكِنَّ توم لَمْ يَهْتَمَّ بِالأَرْواحِ ، وَهَبَطَ مِنَ مَكانٍ أَشْبَهَ بِالتَّلِّ في الكَهْفِ . وَكانَ هاكِلْبِري خائِفاً ، وَلَكِنَّهُ تَبِعَ توم . وَكانَ هُناكَ كَهْفٌ أَصْغَرُ في قاعِ التَّلِّ اسْتَقَرَّتْ فيهِ صَخْرَةٌ عَظيمَةٌ وَتَفَرَّعَتْ مِنْها أَرْبَعَةُ مَمَرّاتٍ . وَفَحَصَها الاثْنانِ دونَ الوُصولِ إِلى نَتيجَةٍ ، وَلَمْ يَجِدا صُنْدوقَ النُّقودِ ؛ فَجَلَسا بِحُزْنٍ لِيُفَكِّرا .

فَجْأَةً قالَ توم : « هاك ، انْظُرْ إِلى العَلاماتِ هُناكَ بِالقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ . إِنَّها عَلاماتُ أَقْدامٍ ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَيْسَ هُناكَ اثارُ أَقْدامٍ في أَيَّةِ أَمْكِنَةٍ أُخْرى بِالقُرْبِ مِنَ الصَّخْرَةِ هُناكَ فَقَطْ . لِماذا ؟ إِنَّ شَخْصاً استَعْمَلَ الشَّمْعَ هُناكَ أَيْضاً ؛ إِذاً فَالنُّقودُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ . سَأَحْفِرُ ، يا هاك ، لأَرى .»

وَحَفَرَ توم الأَرْضَ بِبَعْضِ الأَخْشابِ ، فَوَجَدَ بَعْضَ الأَلْواحِ فَأَلْقى بِها بَعيداً ، وَمِنْ تَحْتِها رَأى مَمَرّاً ضَيِّقاً .

وسارَ توم وَهاكلبري بِبُطْءٍ عَلى طُولِ المَمَرِّ ، وَلَم يَكُن الأَمْرُ سهْلاً . وَ وَصَلا إِلى نِهايَتِهِ فَوَجَدا الصُّنْدوقَ هُناكَ .

هَتَفَ توم : « ها هُوَ ذا الكَنْزُ هُنا .»

وَتَناوَلَ هاكِلْبِري بَعْضَ هَذِهِ النُّقودِ القَديمَةِ قائِلاً : « نَحْنُ الآنَ أَغْنِياءُ ، يا توم ! وَلَكِنَّنا لا نَسْتَطيعُ حَمْلَ الصُّندوقِ عَلى طُولِ المَمَرِّ .»

أَجابَ توم : « لا . لا بُدَّ أَنْ نَضَعَ النُّقودَ في الأَكْياسِ .»

وَفَعَلا ذَلِكَ ، وَبَعْدَ قَليلٍ كانا خارِجَ الكَهْفِ . وَحَمَلا الكَنْزَ في القارِبِ ، وَأَبْحَرا عائِدَيْنِ إِلى القَرْيَةِ . وَعِنْدَما وَصَلاها ، تَقابَلا مَعَ السَّيِّدِ جونز الرَّجُلِ الويلْزِيِّ ، وَأَحَدَهُما إِلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دوجلاس حَيْثُ كانَتْ تُقيمُ حَفْلاً حَضَرَهُ كِبارُ رِجالِ القَرْيَةِ .

وَكانَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس في انْتِظارِ توم وَهاكِلْبِري ، لَكِنَّها لاحَظَتْ مَلابِسَهُما المُتَّسِخَةَ، فَأَعْطَتْهُما مَلابِسَ أُخْرى نَظيفَةً ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ كُلٌّ مِنْهُما حَمّاماً ، وَقالَتْ لَهُما : « انْضَمّا إِلَيْنا في الحَفْلِ عِنْدَما تَسْتَعِدّانِ .»

الفصل السادس والعشرون
الذَّهَبُ الأَصْفَر

لَمْ يَكُنْ هاكِلْبِري يُحِبُّ الحَفَلاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُحِبُّ لِقاءَ النّاسِ ، فَقالَ لِتوم : « يُمْكِنُنا الهُروبُ مِنَ النّافِذَةِ ، يا توم . لا أُريدُ أَنْ أَكونَ بَيْنَ هَؤلاءِ النّاسِ في الدَّوْرِ السُّفْلِيِّ . لَنْ أَذْهَبَ . »

في هَذِهِ اللَّحْظَةِ فَتَحَ سِيدْ البابَ وَدَخَلَ عَلَيْهِما قائِلاً : « أَهْلاً ! انْظُرْ إِلى مَلابِسِكَ ! أَ لَيْسَتْ قَذِرَةً؟ توم ، إِنَّ خالَتي كانَتْ تَنْتَظِرُكَ طُولَ فَتْرَةِ ما بَعْدَ الظُّهْرِ . أَيْنَ كُنْتَ؟ »

أَجابَ توم : « لَنْ أَقولَ لَكَ . ما الَّذي يَحْدُثُ هُنا ؟ لِماذا أَقامَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس هَذِهِ الحَفْلَةَ ؟ »

أَجابَ سِيدْ : « إِنَّها تُحِبُّ الحَفَلاتِ ، وَقَدْ أَعَدَّتْ هَذِهِ الحَفْلَةَ لِلرَّجُلِ الوِيلْزِيِّ ؛ فَقَدْ ساعَدَها بِطَرِيقَةٍ ما . ما اسْمُهُ ؟ السَّيِّدُ جونز ، أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَهُوَ يُعِدُّ مُفاجَأَةً لِكُلِّ شَخْصٍ . يُريدُ أَنْ يَقولَ لَنا

شَيْئًا . كانَ سِرًّا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ كَذَلِكَ . كُلُّ واحِدٍ يَعْرِفُهُ الآنَ . »

سَأَلَهُ توم : « وَما هُوَ هَذا السِّرُّ ، يا سِيدْ ؟ »

أَجابَ : « إِنَّهُ خاصٌّ بِهاكِلْبِري ؛ فَقَدْ تَبِعَ رِد جو حَتّى بَيْتِ السَّيِّدَةِ دوجلاس . وَيَعْتَقِدُ السَّيِّدُ جونز أَنْ لا أَحَدَ يَعْرِفُ هاكِلْبِري ، وَلَكِنَّ الجَميعَ يَعْرِفونَهُ ؛ فَقَدْ أَخْبَرَهُم أَحَدُهُمْ عَنْهُ . »

سَأَلَهُ توم : « مَنْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ؟ هَلْ كُنْتَ أَنْتَ ، يا سِيدْ ؟ فَأَنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُفْشِيَ أَسْرارَ النّاسِ ؛ أَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ » وَضَرَبَ توم أَخاهُ سِيدْ عَلى رَأْسِهِ ، وَدَفَعَهُ نَحْوَ البابِ قائِلاً : « اذْهَبِ الآنَ وَأَخْبِرِ الخالَةَ بولي عَنّي . »

في الوَقْتِ المُناسِبِ نَهَضَ السَّيِّدُ جونز مِنْ مَكانِهِ ، وَطَلَبَ إِلى الجَميعِ أَنْ يَصْمُتوا . وَقَصَّ عَلَيْهِمْ حِكايَتَهُ مَعَ هاكِلْبِري . وَلَمْ يَكُنْ هاكِلْبِري يَبْدو سَعيدًا ، وَكانَ يَرْتَدي مَلابِسَ نَظيفَةً ، يَكْرَهُها كَما يَكْرَهُ السُّمَّ .

وَعِنْدَما سَمِعَ الحاضِرونَ ما قالَهُ السَّيِّدُ جونز تَظاهَروا بِأَنَّهُمْ مُنْدَهِشونَ . وَتَقَدَّمَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس نَحْوَ هاكِلْبِري وَشَكَرَتْهُ ، وَقالَتْ : « سَأُوَفِّرُ لَكَ مَكانًا لِلْعَيْشِ في مَنْزِلي . وَسَأُرْسِلُكَ إِلى المَدْرَسَةِ ، وَأَدْفَعُ تَكاليفَ الدِّراسَةِ . وَعِنْدَما تَكْبُرُ سَأُعْطيكَ بَعْضَ المالِ لِكَيْ تَبْدَأَ عَمَلاً حُرًّا . »

صاحَ توم : « إنَّ هاكِلْبِري لا يَحْتاجُ إلى مالٍ . إنَّهُ غَنِيٌّ لا تَبْتَسِموا . إنَّ هاكِلْبِري لَدَيْهِ قَدْرٌ كَبيرٌ مِنَ المالِ . سَأُريكُمْ ! »

وَكانَ توم وَهاكِلْبِري قَدْ تَرَكا أَكْياسَ النُّقودِ الذَّهَبِيَّةِ خارِجَ المَنْزِلِ . وَأَسْرَعَ توم خارِجًا وَجاءَ بِها وَأَلْقى بِالنُّقودِ الصَّفْراءِ عَلى المائِدَةِ ثُمَّ خَرَجَ ثانِيَةً ، وَعادَ بِالأَكْياسِ الأُخْرى ، وَقالَ : « إنَّ نِصْفَهُ مِلْكٌ لِهاكِلْبِري ، وَالنِّصْفَ الآخَرَ مِلْكي . »

لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ كَلِمَةً واحِدَةً لِمُدَّةِ لَحْظَةٍ . وَكانَتْ جَميعُ العُيونِ تُحَمْلِقُ في الذَّهَبِ . وَصاحَ أَحَدُهُمْ: « اشْرَحْ لَنا الأَمْرَ .. اشْرَحْ لَنا الأَمْرَ. »

وَشَرَحَ لَهُمْ توم الأَمْرَ ، لَكِنَّ ذَلِكَ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَويلاً .

وَاسْتَمَعَ السَّيِّدُ جونز إلى قِصَّةِ توم في سُكونٍ ، ثُمَّ قالَ في النِّهايَةِ : « ظَنَنْتُ أَنَّ عِنْدي مُفاجَأَةً وَلَكِنْ هَذِهِ أَكْبَرُ مُفاجَأَةٍ ! »

الفصل السابع والعشرون

قُوَّةُ المال

أَثارَتِ النُّقودُ الذَّهَبِيَّةُ قَدْرًا كَبيرًا مِنَ الأَحاديثِ في مَدينَةِ سانت بيترسبرغ ، وَكانَتْ كَمِّيَّتُها كَبيرَةً جِدًّا . وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِالغَيْرَةِ مِنْ توم وَهاكِلْبِري ، لَكِنَّ أُناسًا آخَرينَ فَتَّشوا تَحْتَ أَراضيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْثُرونَ عَلى صَناديقَ مَمْلوءَةٍ بِالنُّقودِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدوا شَيْئًا .

وَأَثارَتِ النُّقودُ الذَّهَبِيَّةُ بَعْضَ المَشاكِلِ لِتوم وَهاكِلْبِري ؛ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُما يَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ أَعْمالِ البُنوكِ أَوْ عالَمِ المالِ . لِذَلِكَ عاوَنَتِ السَّيِّدَةُ دوجلاس الصَّبِيَّ هاكِلْبِري ، وَعاوَنَ القاضي ثاتشر الصَّبِيَّ توم . وَشَرَحَ هَذانِ الشَّخْصانِ الطَّيِّبانِ أَشْياءَ كَثيرَةً لِلصَّبِيَّيْنِ .

قالَ القاضي : « إنَّ الأَغْنِياءَ مِنَ النّاسِ لا يَحْتَفِظونَ بِأَمْوالِهِمْ في صُنْدوقٍ قَديمٍ ، بَلْ يَسْتَثْمِرونَها لِتَجْلِبَ لَهُمْ مَزيدًا مِنَ المالِ . »

وَعَمِلَ توم وَهاكِلْبِري بِالنَّصيحَةِ ، وَ وَضَعا أَمْوالَهُما في العَديدِ

مِنَ الشَّركاتِ الجيِّدَةِ . وَأصبحا أكثرَ سعادةً عِنْدَما حَدَّدا هَذا العَمَلَ ، وَأصبحَ كُلٌّ مِنْهُما غَنيًّا وَتَنْهالُ عَلَيْهِ الأموالُ بِانْتِظامٍ .

وَأعْجِبَ القاضي ثاتشر بِالفَتى توم ، وَتَجلّى ذَلِكَ عِنْدَما قالَ عَنْهُ : « لَقَدْ أنْقَذَ الفَتى حَياةَ ابْنَتي ، وَاهْتَمَّ بِها عِنْدَما هاجَمَتْهُما الخَفافيشُ . وَعِنْدَما كانَتْ جائِعَةً أعْطاها بَعْضَ الكَعْكِ . وَ وَجَدَ هُوَ وَحْدَهُ طَريقَ الخُروجِ مِنَ الكَهْفِ ، وَبِذا أنْقَذَ حَياتَها . »

وَذَكَرَتْ بِكي لأبيها قِصَّتَها مَعَ كِتابِ ناظِرِ المَدْرَسَةِ ، فَقالَتْ : « مَزَّقْتُ كِتابَ النّاظِرِ خَطَأً . لَكِنَّ توم تَلَقّى اللَّوْمَ نِيابَةً عَنّي ، وَضَرَبَهُ السَّيِّدُ دوبنز ضَرْبًا شَديدًا . لَقَدْ كَذَبَ مِنْ أجْلي . »

قالَ والِدُها : « كانَتْ كِذْبَةً نَبيلَةً . إنَّهُ شَخْصٌ مُمْتازٌ ، وَقَدْ يُصْبِحُ يَوْمٍ جُنْدِيًّا عَظيمًا . سَأعاوِنُهُ إذا احْتاجَ إلى المالِ . »

وَكانَتْ حَياةُ توم سَعيدَةً ، لَكِنَّ حَياةَ هاكِلْبِري كانَتْ عَلى عَكْسِ ذَلِكَ . كانَ عَلَيْهِ أنْ يَرتَدِيَ مَلابِسَ أنيقَةً وَيَمْشُطَ شَعْرَ رَأسِهِ ، وَيَذْهَبَ إلى الحَفَلاتِ ، وَيُقابِلَ كُلَّ النّاسِ . وَكانَ يَكْرَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ . كانَ يَنامُ في فِراشٍ نَظيفٍ ، وَيَسْتَخْدِمُ السِّكّينَ وَالشَّوْكَةَ في تَناوُلِ طَعامِهِ . وَتَذَكَّرَ حَياتَهُ القَديمَةَ السَّعيدَةَ فَحَزِنَ .

احْتَمَلَ هاكِلْبِري هَذا التَّغْييرَ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أسابيعَ ، ثُمَّ اخْتَفى ؛ وَلَمْ يُعْثَرْ عَلَيْهِ في أيِّ مَكانٍ . وَفي اليَوْمِ الثّالِثِ لاخْتِفائِهِ خَطَرَتْ

عَلى بالِ توم فِكْرَةٌ مُفاجِئَةٌ ، فَذَهَبَ إلى مَبْنًى قَديمٍ في القَرْيَةِ ، هاكِلْبِري أنْ يَذْهَبَ إلَيْهِ في الماضي . وَذَهَبَ توم إلى المَبْنى ، وَ وَجَدَ هاكِلْبِري ، وَكانَ سَعيدًا ، وابْتَسَمَ عِنْدَما رَأى توم .

قالَ توم : « لا بُدَّ أنْ تَعودَ ، يا هاك . إنَّكَ فَتًى غَنِيٌّ ، وَلا يَجِبُ أنْ تَعيشَ في مَكانٍ مِثْلِ هَذا . »

ارْتَسَمَ الحُزْنُ عَلى وَجْهِ هاكِلْبِري لَدى سَماعِهِ كَلِماتِ توم ، ثُمَّ قالَ : « لا تَتَحَدَّثْ عَنْ ذَلِكَ ، يا توم . لا أحْتَمِلُ الحَياةَ في ذَلِكَ المَنْزِلِ . إنَّهُ فَظيعٌ ؛ السَّيِّدَةُ دوجلاس تَجْعَلُني أسْتَيْقِظُ في نَفْسِ الوَقْتِ كُلَّ يَوْمٍ . وتَجْعَلُني أغْسِلُ وَجْهي ، وَتَجْعَلُني أمْشُطُ شَعْري . وَعَلَيَّ أنْ أرْتَدِيَ مَلابِسَ نَظيفَةً . لا أسْتَطيعُ التَّنَفُّسَ بِحُرِّيَةٍ وَأنا عَلى هَذِهِ الحالِ . »

قالَ توم : « كُلُّ شَخْصٍ يَفْعَلُ هَذِهِ الأشْياءَ ، يا هاك . »

أجابَ هاكِلْبِري : « وَلَكِني لَسْتُ كالآخَرينَ فَهِيَ لا تَدَعُني أدَخِّنُ غَليوني ، وَتُريدُ إرْسالي إلى المَدْرَسَةِ . أنا ، يا توم أذْهَبُ إلى المَدْرَسَةِ ! لا .. لا .. إنَّني أحِبُّ حَياتي القَديمَةَ فَهِيَ الأحْسَنُ . »

رَدَّ عَلَيْهِ توم : « إذًا تُريدُ أنْ تَكونَ شَخْصًا خَشِنَ الطِّباعِ مَرَّةً أخْرى ؟ إنَّني آسِفٌ ، يا هاك . إذا فَعَلْتَ ذَلِكَ ، فَلَنْ لا يُمْكِنُكَ أنْ تَنْضَمَّ إلَيْنا . إنَّني أكَوِّنُ عِصابَةً جَديدَةً مِنَ الرِّجالِ . سَنَكونُ

أفْضلَ منَ القَراصِنَةِ . لَقَدِ اعْتادَ الرِّجالُ أنْ يَسْرِقوا النّاسَ في الماضي ، ونَحْنُ نُكَوِّنُ عِصابَةً لِعَمَلِ نَفْسِ الشَّيْءِ . وَلَكِنْ لَنْ يَكونَ مَعَنا رِجالٌ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الخَشِنِ في عِصابَتِنا . وَلَنْ تَسْتَطيعَ أنْ تَنْضَمَّ إلَيْنا إذا تَرَكْتَ السَّيِّدَةَ دوجلاس . فَإذا أخَذْنا رِجالاً خَشِنينَ ، فَماذا سَيَظُنُّ النّاسُ ؟ سَوْفَ يَقولونَ إنَّ عِصابَةَ سوير هُمْ مَجْموعَةُ رِجالٍ خَشِنين . وَلا أقْبَلُ ذَلِكَ ، يا هاك . فإمّا أنْ تَعودَ إلى المَنْزِلِ ، أوْ تَظَلَّ بَعيداً عَنْ عِصابَتي .»

قالَ هاكِلْبِري بِحُزْنٍ : « كُنْتَ دائِماً صَديقي ، يا توم . وَلا أظُنُّكَ تُريدُ أنْ تُبْعِدَني عَنْ صُحْبَتِكَ ، أليْسَ كَذَلِكَ ؟»

أجابَهُ توم : « لا أريدُ أنْ أفْعَلَ ذَلِكَ ، يا هاك . لَكِنّي ذَكَرْتُ لَكَ الحَقائِقَ .»

ظَلَّ هاكِلْبِري صامِتاً لِوَقْتٍ طَويلٍ ، ثُمَّ قالَ : « سَأذْهَبُ إلى مَنْزِلِ السَّيِّدَةِ دوجلاس لِمُدَّةِ شَهْرٍ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَأقَرِّرُ . وَلَكِنَّكَ سَتَدْعُني أنْضَمُّ إلى عِصابَتِكَ ، يا توم ؟»

« نَعَمْ ، سأفْعَلُ !»

قالَ هاكِلْبِري بِنُعُومَةٍ : « يُمْكِنُني أنْ أخْرُجَ مِنَ المَنْزِلِ أحْياناً . وَسَأكونُ مَعَ الزُّمَلاءِ الآخَرينَ ، فَهذا أفْضَلُ مِنْ أكونَ مَعَ هَؤلاءِ القَراصِنَةِ !»

المغامرات المثيرة

١- مغامرة في الأدغال
٢ - مغامرة في الفضاء
٣ - مغامرة أسيرين
٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
٥ - مغامرة على الشاطئ
٦ - الجاسوس الطائر
٧ - لصوص الطريق
٨ - حمد الغواص الشجاع
٩ - اللصان الغبيان
١٠- مطاردة لصوص السيارات
١١- مغامرات السندباد البحري
١٢- لعبة خطرة
١٣- الحشرة الذهبية وقصص أخرى
١٤- اللؤلؤة السوداء
١٥- سر الجزيرة
١٦- مغامرة في النهر
١٧- شبح الحديقة وقصص أخرى
١٨- سر الدرجات التسع والثلاثين
١٩- الجاسوس و قصص أخرى
٢٠- مغامرات توم سوير
٢١- المختطف
٢٢- الكمبيوتر الرهيب
٢٣- الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
٢٤- موسيقى الليل وقصتان أخريان

مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم الكمبيوتر 01 C 198222